

مِسْمَارُ الْحِجَا

مَسْرُوحِيَّةٌ فَكَاهِيَّةٌ فِي سِتَّةِ مَنَاطِرَ

تأليف

عَلَى أَحْمَدَ بَاكِيَّةَ

الناشر:

مَكْتَبَةُ مِصْرَ

٢ شارع كاسر صفت - الجيزة - القاهرة

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هذا نذير من النذر الأولى * أزفت الآزفة * ليس لها من
دون الله كاشفة * أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون
ولا تبكون * وأنتم سامدون ﴾ .

« قرآن كريم »

كُلُّ مَنَّا جُحَا !

بقلم الأستاذ الكبير زكى طليمات ،
مدير فرقة المسرح المصرى الحديث ،
ومخرج هذه المسرحية .

من هذا الذى لا يعرف اسم جحا ؟...
ومن ذلك الذى لا يروى له نكتة أو نادرة ؟....
إنه ملء السمع — ولا أقول ملء البصر — لأن جحا شخصية عاشت
فى الزمن القديم ، وليس لنا منها إلا ما عسى أن ينسجه الخيال ، وقد نفذ
إلى سجع الماضى ، مستهديا إلى هذه الشخصية ، بما خلفته كتب الأخبار
من ملح ونوادر ، منسوبة إلى سيد الفكاهة العربية الأصيلة ...
غير أن جحا ، فى روايتنا هذه يختلف عن جحا المعروف ، ذلك فى
أهدافه ومراميه ، وإن اتفق معه فى الوسائل التى يتخذها إلى تحقيق هذه
المرامى والأهداف ...

وهل لجحا من وسائل غير الأفكوهة والنادرة والنكتة المملحة ؟...
لقد شاء مؤلف هذه الرواية ، وهو يستجيب إلى قوميته الذبيحة ،
وإلى السخط الذى تفور به نفسه ، وقد أمضها ما يلقى الشرق العربى على
أيدي المستعمرين ، شاء المؤلف أن يجعل من جحا ، ومن بعض أشخاص

الرواية رموزا وتوريات عن مبادئ وشخصيات سيارة دوارة في الشرق العربي بأسره ، بين حاكم ومحكوم ، وغالب ومغلوب ؟!...

ثم أخضع حوادث روايته إلى ما يزدحم به الشرق العربي من حوادث وأحداث ، وقد عمد إلى التورية والتعمية ، فهو تارة للإشارة والتلميح ، وتارة أخرى للإفصاح والتصريح ، فإذا أحس المؤلف أنه أسفر في صراحة مما عسى أن يؤخذ به ، أو يؤخذ عليه ؛ نراه يتراجع ؛ مداورا ومموها ؛ فيفوت أغراض الحاكمين الذين يملكون أمر معاقبته !...

والمؤلف ، في هذا كله ؛ يطرق على لسان (جحا) جميع المآسى التي يرزح تحتها الشرق العربي ؛ بأيدي المستعمرين ؛ وبفعل أبنائه الذين يمكنون لهم في أرضه ، ويجيء عرضه لكل هذا عاما مجملا ، بحيث يحس كل شرق مستعبدا وآلامه وآماله ...

هل نرى حقا في (جحا) رمزا لذلك الجهاد السليبي الذي ينهض به كل شعب شرق ، تفتحت واعيته للحرية والاستقلال ؟...

وهل نرى في جحا ، من ناحية أخرى ، أتمودجا للرجل الذي يعمل ظاهرا في ظل المستعمر أو تحت جناح برادعه ثم هو في الباطن يعمل على أن يأخذ المستعمر من مأمنه ، وينفذ إليه من خلفه ، ليصرعه ، ثم يكب برادعه وصنائه على وجوههم كبا ؟..

ومن هو (عبد القوى) شاطر الشطار الذي يحاول أن يضرب البيضة بالحجر ، على ألا تنكسر البيضة ؟...

ألا تثير أقواله وفعاله بالرواية ذكريات عن وجوه عرفناها بمصر

وبالشرق العربى ؟...

ثم .. ما هو هذا المسمار ، (مسمار جحا) ؟ ..
يقول المؤلف : إنه الدعوى ، أو الذريعة ، أو السبب الذى يدهقه
المستعمر فى كل بلد ينزل فيه ، ليبرر بقاءه !...
فالمسمار فى مصر .. هو قناة السويس ! وقد يكون الدفاع المشترك .
وفى إيران
وفى العراق
وما عليك إلا أن تستعرض أحوال كل بلد شرقى ، للمستعمر فيه أنف
ينفخ ، وسم ينفث ، حتى تضع يدك على هذا (المسمار) وقد تسمى
بأسماء مختلفة ، للمستعمرين فيه قاموس محيط ، ولهم فى هذا (المسمار)
أساليب واستعارات ، بل وأدب كامل ، وسيع الرحاب .

زكى طليمات

أشخاص الرواية

أسماء الممثلين والممثلات

من فرقة المسرح المصرى الحديث

سعيد أبو بكر	: بطل المسرحية	جحا
نعيمة وصفى	: زوجته	أم الغصن
عبد المنعم إبراهيم	: ابنه	الغصن
سميحة أيوب	: ابنته	ميمونة
صلاح سرحان	: ابن أخيه	حماد
عدلى كاسب	: والى الكوفة	الوالى
كمال ياسين	{ جلوازان فى شرطة الكوفة	عباد
محمود عزمى		حريق
عبد الغنى قمر	: شيخ من الفقهاء	أبو صفوان
أحمد الجزيرى	: مراب مشهور	أبو سحتوت
نور الدمرداش	: كاتب الحاكم الأجنبى	عبد القوى
عبد الرحيم الزرقانى	: عميد الاحتلال الأجنبى	الحاكم
عبد العزيز أبو الليل	{ مساعدا قاضى القضاة	القاضى الأول
أنور السيد		القاضى الثانى
حسين جمعة	: كاتب الديوان	كاتب الديوان
أنور إسماعيل	: خصم حماد فى قضية الدار والمسمار	غانم
ملك الجمل	: الماشطة	أم الخير
انشراف الألفى	{ جاريتا جحا فى داره الكبيرة	زيتونة
فوزية مصطفى		صابحة
محمود فرج	: السجان	عون
مكان الحوادث : الكوفة وبغداد — عصرها : غير محدد		

المنظر الأول

جانب من سوق الكوفة حيث يقع الجامع الذى يتولى جحا فيه الإمامة والوعظ . — يظهر فى صدر المسرح باب الجامع ومن أمامه مصطبة يجلس عليها جحا للوعظ ، وأمام المصطبة رحبة مفروشة بالرمل هى بمثابة حرم يفصل الجامع عن السوق ويجلس عليها بعض الذين يستمعون إلى الوعظ .

يرى — عند رفع الستار — عباد وحريق واقفين فى الرحبة ومعهما نفر من أعوانهما وهم يتطلعون إلى باب الجامع ويتهايمسون كأنما يدبرون أمرا ، وبينهم شيخ فى زى الوعاظ هو أبو صفوان .

عباد : لن ينتهى هذا الشيخ عن غيه حتى يضرب على يده .

حريق : آه لو كان الأمر لى لطرحته أرضا وجثمت على صدره .

فتفتت لحيته الملعونة شعرة شعرة !!

أبو صفوان : قبحه الله .. يأخذ رزقه من مال الدولة بيده ثم يحرض

الناس عليها بلسانه !

حريق : عجبنا والله لوالينا كيف صبر عليه إلى اليوم ؟

- عباد : إنه مثل الزئبق لا يمسك !
حريق : لكنه لن يفلت من أيدينا اليوم .
عباد : أجل ... علينا أن نتيقظ لكل كلمة يقولها في وعظه ،
فإن لم نستطع أن نأخذ عليه شيئا فلنستدرجه بأسئلتنا
إلى ما نريد . تذكر يا أبا صفوان واجبك .
أبو صفوان : سترى منى ما يسرك إن شاء الله .
عباد : (ينظر نحو باب الجامع) ها هم المصلون قد بدأوا
يخرجون !.. تفرقوا الآن قليلا ثم تحلقوا في الصف
الأول .

(يفرق الجماعة يمينا وشمالا)

(يخرج الناس من الجامع فممنهم من انصرف لسييله
وممنهم من وقف في الرحبة ليجلس لاستماع الوعظ . ثم
يظهر الشيخ جحا خارجا من الباب ويتقدم حتى
يجلس على المصطبة . يقعد الناس صفوفًا في الرحبة
حيث ظهر جماعة عباد في الصف الأول يتوسطهم
أبو صفوان ويكون عباد في الجانب الأيمن وحريق في
الجانب الأيسر) .

جحا : (يجيل بصره في الناس والسبحة في يده يقلب حباتها في
تؤدة ثم يرنو إلى الجالسين في الصف الأول كأنه
يتفحص وجوههم فتعلو فمه ابتسامة غامضة حتى إذا

هدأت الأصوات تنحنح قليلاً ثم قال (إني لأرى اليوم
وجوها جديدة ما كانت تغشى مجلسنا من قبل ، فهل
ظنوا — يا ترى — أن عندنا اليوم وليمة ؟
(يتغامز الناس وينظر بعضهم إلى بعض وهم
يتسمون) .

عباد : (يشعر بالخرج من نظرات الناس إلى جماعته) ألا يحق
لنا يا سيدى الشيخ أن نستمع كغيرنا إلى وعظك ؟
جحا : بل يحق لكم كما يحق لغيركم . غير أنى ما أحسبكم صليتم
معنا اليوم ، أفتظنون أننى فى وعظى سأحل لكم ترك
الصلاة ؟

عباد : لقد صلينا فى جامع آخر ، وإنما جئنا لسماع الوعظ .
جحا : ألم تجدوا من يعظكم هناك ؟
عباد : نريد أن نسمع وعظك أنت .
جحا : هل أنتم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؟
عباد : نسأل الله أن يجعلنا كذلك .
جحا : فهل تعرفون ما سأقول فى وعظى ؟
عباد : لا يا سيدى الشيخ . لا نعرف ما ستقول .
جحا : انصرفوا إذن فلن تفهموا من وعظى شيئاً .
(يومئ عباد لحريق أن يقول نعم)

- حريق : بلى يا شيخ نعرف ما ستقول !
- جحا : (يوجه حديثه لسائر الجماعة) تعرفون ما سأقول ؟
- الجماعة : نعم .
- جحا : اذهبوا إذن فلن تسمعوا منى شيئا جديدا .
- (يتضحك الناس وقد بدأوا يدركون قصد جحا)
- عباد : متنا من يعرف (مشيرا بيده للذين يلون حريقا) ومنا من لا يعرف (مشيرا للذين يلونه هو)
- فريق حريق : نعم .. نحن نعرف ما ستقول !
- فريق عباد : ولكننا نحن لا نعرف !
- جحا : (يتسم قليلا) هيه ... إذن فليشرح الجاهل منكم للعارف ، والعارف للذى هو أعرف ! (ضحك)
- جحا : (ولسائر الحاضرين من غير الجماعة) خذوا يا إخوانى فى التسبيح والاستغفار حتى يكشف الله عنا هذه الغمة !
- عباد : (لا يطيق صبرا) أى غمة يا شيخ ؟
- جحا : أنتم بمعزل عنها فلا تشعرون بها ولكن هؤلاء يفهمون ما أعنى ! (ثم لسائر الحاضرين) سبحوا الله واستغفروه !
- (يهمهم جحا والحاضرون بالتسبيح والاستغفار)
- (يتهامس الجماعة فيما بينهم)

جحا : (ينظر إليهم) فيم تتها مسون ؟ ألا يعجبكم ذكر الله ؟
 عباد : (متجلدا كاظما غيظه) إنا ما جئنا للذكر بل لسماع الوعظ .

جحا : ويلكم . ذكر الله خير من وعظي (ثم يشير بيده إلى قلبه) ألا بذكر الله تطمئن القلوب !!
 (يضحك الناس وقد أدركوا الآن قصده بغاية الوضوح)

حريق : (مغتظا) بل عرفنا يا شيخ سبب امتناعك عن الوعظ ! إنك رأيت معنا أبا صفوان فخشيت أن ينكشف للناس جهلك !

جحا : أبا صفوان ! وأى شيء أبو صفوان هذا ؟
 حريق : لا تتجاهله !

جحا : ويحكم لا تحسبوني أحيط بكل ما في الأرض وما في السماء . إني لأجهل أشياء كثيرة ومنها هذه الكلمة التي لم أسمع بها من قبل !

أبو صفوان : (ينهض غاضبا) تتجاهلني يا جحا ؟ أنا أبو صفوان !
 جحا : (مظهرا الدهش) أنت ؟

أبو صفوان : نعم !

جحا : أنت أبو صفوان ؟!

أبو صفوان : (محتلا) نعم أنا هو ، فماذا تنكر ويليكَ ؟

- جحا : (بهدوء) معذرة يا أخى .. لقد كان على هؤلاء أن
يبيّنوا لى أنهم يتحدثون عن إنسان !!
(ضحك)
- عباد : ويلك يا شيخ هل يمكن أن يقال أبو فلان إلا لإنسان ؟!
- جحا : لِمَ لا ؟ أما يقال للثعلب أبو الحصين وللشيطان أبو مرة ؟
(يتعالى الضحك فى الصفوف)
- جحا : ساحنى يا أبا صفوان ، فما كنت أعلم أنهم كانوا
يعنونك أنت !
- أبو صفوان : (كاظما غيظه) يا شيخ جحا إن جازت مغالطتك هذه
على هؤلاء الناس فلا تظنّ أنها تجوز على . ألم يقل لك
حُريق ؟
- جحا : (مقاطعا) حُريق ؟ اشرح لى هذا الاسم أولا كيلا أقع
فى الخطأ مرة ثانية .
- حريق : (مغتاظا) ويلك أنا حريق !
- جحا : أهذا اسمك والعياذ بالله ؟
- حريق : (يتحرق غضبا) نعم !
- جحا : وما اسم ثلاثة الأثافي ياترى ؟ (يشير إلى عباد)
- عباد : اسمى عباد فماذا تريد ؟
- جحا : لا شىء ... معرفة الشىء خير من جهله !
- أبو صفوان : لا تتهرب من سؤالى يا جُحا . ألم يقل لك حُريق إنك

خشيت أن ينكشف جهلك وأمالك أبو صفوان ؟

جحا : بلى قد قال ذلك .

أبو صفوان : فوأضح أنه كان يعنى رجلا من العلماء يقدر أن يكشف للناس جهلك !

جحا : وى !.. كأنهم جاعوا بك إلى هنا لتكشف للناس جهلى .

أبو صفوان : نعم .

جحا : (يظهر الخوف والإشفاق) بالله يا أبا صفوان

لا تفعل . ستجد لك جامعا فى حى أفضل من هذا الحى ... فى حى أهله أغنياء تصلك منهم الولائم والهدايا والهبات . أما هؤلاء فلرو وجدوا عندى شيئا لأخذه .

أبو صفوان : من قال لك إنى أطمع فى وظيفتك ؟

جحا : (فى توسل واستعطاف) أبقي إذن على ... لا تقطع

رزقى ورزق عيالى ... أعفنى أعفك الله !

أبو صفوان : كلا والله لا أعفك ... لأكشفن للناس جهلك .

جحا : كأنك تريد أن تناظرنى يا أبا صفوان ؟

أبو صفوان : نعم .

جحا : إذا فأمرى إلى الله ... لكن إن أردت العدل يا أبا صفوان

فمنى سؤال ومنك سؤال .

أبو صفوان : قد قبلت .

- جحا : فابدأ أنت .
- أبو صفوان : أيهما أفضل عند الله : الغنى الشاكر أم الفقير الصابر ؟
- جحا : (يتوقف قليلا) ...؟
- عباد : أجب .
- جحا : الغنى الشاكر أفضل .
- أبو صفوان : برهانك !
- جحا : لأن الغنى الشاكر لا وجود له في هذه الأيام ، وأما الفقراء الصابرون فهم أكثر من الهم على القلب ولا يحصى عددهم إلا الله !
- (يتعالى الضحك)
- جحا : هل لى الآن أن أسألك ؟
- أبو صفوان : افعل .
- جحا : أين يذهب القمر عند الخاق ؟!
- أبو صفوان : ويلك أهذا سؤال يوجه إلى مثلى ؟ منذأ يعلم أين يذهب القمر عند اختفائه في كل شهر ؟
- جحا : هل أقررت بالعجز ؟
- أبو صفوان : وهل تعلم أنت ؟
- جحا : نعم .. يأخذه أغنياء الجن فيقطعونه نجوما صغارا تتحلى بها نساؤهم !
- (ينفجر الحضور ضحكا)

أبو صفوان : (للحاضرين) ويلكم هذا جواب غير معقول
ولا برهان له عليه .

أصوات : (من خلال الضحك) فلتقل لنا أنت أين يذهب !؟

جحا : البرهان يا أبا صفوان بين يديك إن شئت أقمته
بنفسك .

أبو صفوان : هيات ..

جحا : إن أقمته فسيتهج به قلب امرأتك !

(ضحك)

أبو صفوان : (مستشيطا غضبا) قبحك الله . وأما للنساء حرمة
عندك ؟

جحا : لا تغضب فوالله ما قصدت أى سوء . هذا برهان تفرح
به كل امرأة . أتحب أن أذكره لك ليزول غضبك ؟

أبو صفوان : هيه ...

جحا : اذهب إلى أولئك الأغنياء فلاطفهم وتملقهم لعلهم

يجودون عليك بحفنة من تلك النجوم الصغار فتصنع منها

عقدا ثمينا لأم صفوان ! (يرتج على أبى صفوان من

الحجل الشديد ويدرك عباد ألا فائدة ترجى منه فيشير

لبعض رجاله في المؤخرة إشارة خاصة) .

صوت : (يرتفع في أخريات الناس) يا معشر المسلمين أفسحوا

لى السبيل إلى هذا الواعظ .

(مسمار جحا)

الحضور : (يتهايمسون) أبو سحتوت المرائى .. أبو سحتوت المرائى .

عباد : (يصيح في الناس) ويلكم .. دعوا هذا الشيخ يتقدم لنرى ما عنده .

جحا : أوسعوا لأبى سحتوت فلعله جاء ليراييكم ركعة بركتين . (ضحك)

أحدهم : هذا لا تكفيه ركعتان .
آخر : ولا ثلاث ركعات .

أبو سحتوت : (يظهر أمام جحا) سأريكم الآن كيف خدعتم بهذا الشيخ الذى يعظ الناس وهو يأكل أموالهم بالباطل !
جحا : وهل تأكل أنت أموالهم بالحق ؟ (عاصفة من الضحك)

أبو سحتوت : (غاضبا) أيها السفهاء هم تضحكون ؟

أحدهم : من جبتك المرقعة يا قارون !

جحا : ويحكم لا ينبغي أن تسخروا من أبى سحتوت فإنه رجل مسلم !! (يتعالى الضحك من جديد)

أبو سحتوت : (يرتعد غاضبا) تبأ لك يا شيخ السوء !

جحا : كيف تشتمنى وأنا أنهى الناس عنك ؟ أنا صديقك يا أبا سحتوت .

أبو سحتوت : بل أنت عدوى الألد !

جحا : لعلك تنقم منى أننى أعظ الناس أحيانا فى الربا . والله
لو استطعت أن أفتيهم بحله إكراما لخاطرك لفعلت !
(ضحك) ..

لكن لا تخف . لن ينقطعوا عن التعامل معك ولو
وعظتهم ألف سنة ! إن فى البلد وعظا كثيرا يحضونهم
دائما على اللجوء إليك .

عباد : هذا كذب وبهتان . ليس فى وعاظنا من يميز الربا
للناس .

جحا : إنهم لا يميزونه فحسب بل يفرضونه فرضا .

عباد : من هؤلاء ويلك ؟

جحا : الجيوب الخالية والبطون الخاوية !

أبو سحتوت : دعنى من ترهاتك .. أعطنى قدورى التى عندك !

جحا : قدورك ؟

أبو سحتوت : نعم .. القدور التى استعرتها منى فلم تردها إلى .

جحا : يا أبا سحتوت هذا مجلس وعظ . وليس بمحكمة .

ألا يتطوع أحدكم فيدل هذا الشيخ على طريق المحكمة ؟

أبو سحتوت : إننى أعرف طريق المحكمة !

جحا : فما الذى جاء بك إلى هنا ؟

حريق : هل تخشى أن يطلع الناس على أمرك ؟

جحا : ما عندى شئ أستحى من إبرازه للناس اللهم إلا هذه

اللحية التى لا تريد أن تنتظم أبدا ، ولولا مراعاة السنة
لحلقتها كما فعلت أنت بلحيتك !

حريق : (محمدا) من قال لك يا خبيث إننى حلقت لحيتى ؟

جححا : فأين ذهبت إذن ؟ هل أكلتها نعلجتك وأنت نائم ؟

(ضحك) لماذا لم تشبعها قبل أن تنام ؟ (يتعالى

الضحك) (يتميز حريق غيظا كمن بهم أن ييطش

بجححا لولا أن يومئ له عباد بأن يسكن) .

عباد : دعونا نسمع ما يقول أبو سحتوت .

أبو سحتوت : أين قدورى يا جححا ؟ أعدها إلى !

جححا : ألم أقل لك إنها ماتت ؟ ألم أعزك فيها يا أبا سحتوت ؟

ماذا أملك لك غير التعزية ؟

أبو سحتوت : (فى حرقة) كلا لا بد أن تحيها لى !

جححا : من قال لك إننى أحيى الموتى ؟ لو كان ذلك فى وسعى

لأحييت أبى وأمى فهما أجدر بالحياة من قدورك .

أبو سحتوت : اسمعوا يا عباد الله .. إن هذا الرجل يزعم أن القدور

تموت !

جححا : اسمعوا يا عباد الله .. إن هذا الرجل يزعم أن القدور تلد

كما تلد النساء !

أبو سحتوت : بل أنت الذى زعمت لى ذلك .!

جححا : هبنى زعمت لك هذا المحال فما الذى حملك على

تصديقي ؟

عباد : قد اعترفت إذن بأن القدر عندك ؟
جحا : نعم كانت عندي فأعديتها إلى أصحابها .
أبو سحتوت : أنا صاحبها وهي ملكي !
جحا : كلا ليست ملكك وإنما استوليت عليها بالربا .
أبو سحتوت : ما شأنك أنت ؟ قد استعرتها مني فعليك أن تردّها إلى .
جحا : استعرتها منك لأردّها إلى أصحابها وقد فعلت .
أبو سحتوت : (يصيح) هذه سرقة ! هذا اغتصاب !
جحا : لا تكذب يا أبا سحتوت . أنت أعرتها لي باختيارك
ورضاك .

أبو سحتوت : لأنك خدعتني واحتلت على أبا المختال الأثيم !
جحا : هل لك أن تروى للناس كيف احتلت عليك ؟
أبو سحتوت : (يصمت حائرا وهو يتميز من الغيظ) ...؟
جحا : فسأرويها أنا لكم .. استأجرت قدرا منه بأربعة دراهم
ثم أعدتها إليه ومعها قدر أصغر منها زعمتُ له أن قدره
ولدتُها عندي . فمن فرط شحه وحرصه فرح بها
وأخذها مني دون أن يراجعني بكلمة . (ضحك) ثم
عدت إليه بعد أيام وقلت له أعزني القدر التي عندك
كلها لأستولدها لك . فقَدّمها لي وهو يكاد يطير من
الفرح . وكنت أعرف أصحابها الذين رهنوها عنده

فأعدتها إليهم .. فهل تروني في هذا قد أسأت ؟

أصوات : بل أحسنت يا أبا الغصن ! أحسنت وأصبحت !
جحاح : ثم جاءني أبو سحتوت يطالب بالقدور وبأولادها
معه ! (ضحك) فقلت له : أعظم الله أجرك في
قدورك الحبالى فقد ماتت جميعا فى النفس ! (يتعالى
الضحك) .. يا معشر المسلمين عزّوا أخاكم
أبا سحتوت !

أصوات : عزاءك يا أبا سحتوت ! أعظم الله أجرك
يا أبا سحتوت !

أبو سحتوت : (بين الغضب والحسرة على قدوره) قاتلكم الله أيها
السفهاء ! سلط الله عليكم من يبدد أموالكم ويخرب
بيوتكم كما بدد هذا الشيخ مالى وأخرب بيتى !.. (فى
صوت يخالطه البكاء) آه .. قدورى ! قدورى !

أصوات : عزاءك يا أبا سحتوت ! أعظم الله أجرك
يا أبا سحتوت !

أبو سحتوت : (يستشيط غضبا) قبحكم الله ! أين ذهبت عقولكم ؟
أَو قد صدقتم هذا الكذاب الأشر ؟ هل جُنتم أجمعين ؟
أتصدقون أن القدور تموت ؟!

جحاح : يا أبا سحتوت !.. كل حى يموت !

(ضحك)

- (يومئ للحاضرين أن يرددوا معه) :
توت توت .. توت توت ..
يا أبا سحتوت ! .. كل حى يموت !
الجميع : (يرددون) توت توت .. توت توت ..
يا أبا سحتوت ! .. كل حى يموت !
(يحدقون بأبى سحتوت من كل جانب وهم ماضون
فى ترديد هذا اللحن)
صوت : (يرتفع من أخريات الناس زاجرا) صه يا أوغاد !
الحاضرون : (تخفت أصواتهم ويدور بينهم الهمس) : الوالى !
الوالى !
عباد : (يصيح بأعلى صوته) أفسحوا لسيدى الوالى ..
انحازوا من طريقه !
(ينحاز الناس يمينا وشمالا فيظهر الوالى ويقف جحا
تحية له ثم يجلس ثانية)
الوالى : (يدنو من المصطبة حتى يقف أمام جحا) أجلس
وعظ هذا يا شيخ أم مجال هو ولعب ؟
جحا : سل هؤلاء يا سيدى الوالى فإنهم لا يميزون بين الجد
واللهو ! تبأ لهم .. فى وقت الجد يهزلون ، وفى أوان
الهزل يجددون ، فلا بجدهم ينتفعون ، ولا بهزلهم
يستمتعون !
الوالى : ما أجدرك يا جحا أن تكون قرادا لإضحاك الناس !

- جحا : يا ليتنى كنت قرّادا فأسلم من تبعات الوعظ فى غير طائل . لقد بح صوتى فى إيقاظ هؤلاء دون جدوى .
لا يغرّنك يا سيدى ما رأيت من ضحكهم وصياحهم فإنما هم نيام فى أحلامهم يضحكون !
- الوالى : دعنى من ألعيلك يا ألعبان . أنت الذى تتعمد إضحاكهم فى مجلس وعظك .
- جحا : لا أنكر يا سيدى أننى أضحكهم أحيانا لأطرد عنهم التثاؤب عسى أن يحسنوا الإصغاء إلى وعظى . ولكنى لا أفعل ذلك إلا بمقدار ما يحسن الملح فى الطعام .
- الوالى : كهذا الذى رأيناه اليوم ؟
- جحا : كلا يا سيدى لا تحكم على وعظى بهذا الذى رأيته اليوم ، فقد انقلب كله ملحا ليس فيه طعام .
- الوالى : بل هذا دأبك وديدنك . قد شهدته اليوم بنفسى فلا تحاول أن تخدعنى .
- جحا : لكنى يا سيدى ما استطعت اليوم أن ألقى وعظى . لقد شغلنى عنه هؤلاء الأبالسة .
- الوالى : كُفّ لسانك عنهم فإنهم رجالى .
- جحا : (يظهر الاستعظام) رجالك ! تبّاً لهم كيف احتلوا الصف الأول وتركوك قائماً فى أخريات الناس ؟
- الوالى : كفى ثرثرة ! أرنى الساعة كيف تعظ الناس .

جحا : ياليتنى علمت بأنك ستحضر لسماع وعظي .. إذن
لأعددت خطبة بليغة تليق بمقامك .

الوالى : بل أريد أن تعظ أمامي كدأبك كل يوم .

جحا : أمرك يا سيدى الوالى مطاع . على أن تكف عنى هؤلاء
السفهاء .

عباد : انظر يا سيدى إلى وقاحة هذا الشيخ ! (يومئ له الوالى
بالسكوت)

جحا : (يستوى فى مقعده على المصطبة ويقلب بصره فى
وجوه الناس) الحمد لله على نعمه وآلائه ، والصلاة
والسلام على خاتم أنبيائه ، وسيد أصفیائه ، أما بعد عباد
الله أوصيكم بتقوى الله وبالإكثار من حمده وشكره على
نعمه التى لا تحصى ، وألطافه التى لا تستقصى . فكم لله
من نعمة تمرون عليها وأنتم غافلون ، ولقدرها جاهلون .
تفكروا مثلاً فى نعمة الوجود كيف خلقكم الله من بنى
آدم ، ولو شاء لجعلكم قردة وخنازير ! (يغالب الناس
ضحكهم خوفاً من الوالى ويتسم الوالى قليلاً ثم
يكف) .

انظروا إلى الشمس والقمر والنجوم كيف جعلها فى
السماء بعيداً عن متناول أيدي الناس ، وإلا لاستأثر بها
قوم دون قوم !

(يبدو على وجه الوالى الامتعاض)

انظروا إلى هذه الجمال التى تجوس خلال شوارعكم
موقرة بالغلال والثمار ، كيف لطف الله بكم إذ لم يجعل
لها أجنحة تطير ، وإلا لطارت فوق منازلكم فهدمتها على
رؤوسكم ! (ينفجر الناس ضحكا) انظروا ...

الوالى : (غاضبا) حسبك يا شيخ ! (لرجاله) اصرفوا هؤلاء
الناس ! (ينهض عباد وحريق ورجاهما وقد ظهرت فى
أيديهم السياط فأخذوا يضربون بها فى الهواء ليحملوا
الناس على الانصراف فينصرف الناس متفرقين).

الوالى : ويلك يا شيخ السوء . انزل إلى !
جحا : (ينزل من المصطبة ويقف أمام الوالى) سمعا
يا سيدى . (يقبل عباد وحريق ورجاهما فيحيطون
بجحا)

الوالى : ويلك يا خبيث .. لقد انكشف لى اليوم أمرك !
جحا : ألم يعجبك يا سيدى الوالى أسلوبى فى الوعظ ؟
الوالى : قبحك الله .. أهذه هى النعم التى ينبغى أن تذكر بها
الناس ؟ أليست لله نعم أخرى يا خبيث ؟
جحا : بلى يا سيدى ولكن أمرنا أن نخاطب الناس على قدر
عقولهم .

الوالى : كيف ويلك ؟

جحا : هؤلاء كما ترى قوم مساكين ، فلو ذكّرتهم بالبساتين
والقصور والفواكه والرياحين لامتلأت نفوسهم
سخطا ، ولمالوا والعياذ بالله إلى الجحود والكفران بدل
الحمد والشكران .

الوالى : بل قصدت التعريض بنا وتحريض العامة علينا .
جحا : معاذ الله يا سيدى .. لعلى خاننى التوفيق فى كلامى
اليوم .

الوالى : بل هذه عادتك يا شيخ السوء . أتحنسبى لا تبلغنى
أقوالك ؟

جحا : لعلها تنقل إليك محرّفة .
الوالى : (فى لهجة صارمة) كلا !
جحا : هل لك يا سيدى أن تذكر لى طرفا مما بُلّغته لعله روى
لك مقلوبا فأعدله لك ؟

الوالى : ماذا قلت فى خطبة العيد يا رأس الفساد ؟
جحا : رأس الفساد دفعة واحدة ؟ أستغفر الله يا سيدى .. هذا
شرف لا يستحقه واعظ مثلى مهما أساء وأفسد ، وإنما
يستحقه أرباب المناصب الكبيرة إذا طغوا فى البلاد
فأكثروا فيها الفساد !

الوالى : (غير مكثرت لما قال) ماذا قلت فى خطبة العيد ؟
جحا : قلت يومئذ كلاما كثيرا فأى شئ أنكرتموه على ؟

- الوالى : اذكر لنا ما قال يا عباد .
- عباد : إنه قال يا سيدى : وددت لو أن الله قد جعل أيامكم كلها أعيادا !
- أبو صفوان : (واقفا بجانب حريق يتمم بصوت خافت) أعوذ بالله .. هذا اعتراض على الله ... هذا كفر !
- حريق : (يهمس له) قل ذلك للوالى ليعاقبه على كفره !
- (يجين أبو صفوان فلا يجيب)
- الوالى : (يتهاها كلمة كلمة) وددت لو أن الله جعل أيامكم كلها أعيادا .. (ثم بحدة) ويليك ألم تقل هذا ؟
- جححا : بلى يا سيدى هذا حق .
- الوالى : ماذا قصدت ؟ فسّر غرضك !
- جححا : إنك يا سيدى أطعمت الفقراء والمساكين يوم العيد ، فتمنيت لو دام لهم هذا الخير طوال أيام السنة .
- الوالى : قبحك الله .. أتمنى على الله المُحال ؟ ألم تعلم أن الله لم يجعل لنا سوى عيدين فى السنة ؟
- الوالى : بلى يا سيدى ، ولذلك استدركت فى كلمتى تلك فقلت . وإذ سبقت حكمته عز وجل ألا يجعل لكم غير عيدين فى السنة ، فياليت سبحانه وتعالى أغناكم عن الطعام فيما عداهما من الأيام .
- أبو صفوان : (يتمم كالمرّة الأولى) أعوذ بالله من الزيغ والكفر !

- حريق : (ينفزه بكوعه هامسا) ويلك قل للوالى ذلك !
 (يصمت أبو صفوان كالمرّة الأولى) .
- جحاح : (يلتفت إلى عباد) ألم أقل ذلك يا عباد ؟ اشهد بالحق !
 الوالى : (ينفجر غاضبا) كفى يا عدو الله ! ها أنتذا قد أقررت
 الآن بجريمتك !
- جحاح : أى جريمة ؟ أتعبرون تمنى الخير لهؤلاء البوساء جريمة ؟
 إنها أمنيّة لم تتحقّق على كل حال !
- الوالى : اذهب فإنك معزول !
- أبو صفوان : (يتنفس الصعداء مسرورا) الحمد لله !
 أبو سحتوت : أعزّك الله يا سيدى الوالى .. أعزّك الله !
- جحاح : إن لم يعجبكم وعظى فانقلونى إلى وظيفة أخرى أعول
 بها أهلى وأولادى !
- الوالى : (بصرامة) كلا ما عندنا لك شىء !
- جحاح : ما ذنب أهلى وعيالى ؟ إن امرأتى أم الغصن ما ألقت
 موعظة قط ولا تمنّت فى حياتها خيرا لأحد ، فما ذنبها
 وما ذنب الغصن ابنها وميمونة أختها ؟
- عباد : مولاي الوالى غير مسئول عن أهلك وعيالك ! من قال
 لك تزوج .
- حريق : أجل ... من قال لك تزوج ؟
- جحاح : صدقت يا لسان النار ! قاتل الله من تزوج قبلى فلم

يعظني ، ومن تزوج بعدى ولم يستشرني !
الوالى : اسكت ... والله لولا إبقائي على شيخوختك لما اكتفيت
بعزلك . ولو علم صاحب الأمر بما كان منك لأمر بقطع
رقبتك !!

جعجا : (فى هدوء) صاحب الأمر ! منذا تعنى بصاحب
الأمر ؟ سلطاننا المعظم أيده الله ؟ أم ذلك الذى تحتل
جنوده البلاد ؟

الوالى : (غاضبا) ما أنت وذاك قبحك الله ؟
جعجا : إن كنت تعنى سلطاننا المعظم فإنه أبر وأكرم من أن
يقطع رقبة رجل تمنى الخير لرعيته . وإذا كنت تقصد
الحاكم الأجنبي الدخيل فما أهون أمرى عنده ما بقيت
جنوده رابضة فى الثغر !

الوالى : (يستشيط غضبا) خذوا هذا السفیه !
(يهجم عليه الشرطة آخذين بتلابيه وثيابه من كل
جانب) .

عباد : إلى السجن يا سيدى ؟
جعجا : (مبادرا) نعم خذونى إلى السجن فأُنَجِّو من أظافر
امرأتى أم الغصن ومن لسانها السليط !
الوالى : كلا بل سوقوه إلى داره !
جعجا : (يدفعه الشرطة ويجرونه جرا) رى السجن أحب إلّى

مما يسوقوننى إليه ! اقطعوا رقبتى ولا تسوقونى إلى
أم الغصن !

الوالى : سوقوه إلى امرأته !

أبو سحتوت : (يرفع يديه فى ابتهال) يارب ، يا جبار يا منتقم ألهم
امرأة هذا الظالم أن تنشب أظافرها فى حلقة حتى
يموت !

جعجا : (يبتهل مثله) يارب استجب دعوة عدوك هذا المرائى
الملعون ، حتى يقتدى به عبادك أجمعون !

أبو سحتوت : (ماضيا فى دعائه وهو يحرك شفثيه فى حرقه وابتهال)
أظافرها فى حلقة حتى يموت !

حجا : يا أبا سحتوت . كل حى يموت (صائحاً بأعلى صوته)
توت توت توت !.. كل حى يموت !

أصوات : (من بعيد هى أصوات أولئك الذين تفرقوا عن
المجلس) توت توت توت !.. كل حى يموت ...

المنظر الثاني

حجرة صغيرة يبنىء كل ما فيها عن الخصاصة ورقة الحال . يُرى عن يمينها دهليز صغير يؤدي إلى سلم البيت .

وللحجرة باب ينقل إلى الدهليز وباب آخر (على يسار المسرح) يؤدي إلى داخل المنزل .
(يرفع الستار عن جحا قادمًا من الخارج يخلع جبته وعمامته وتساعده ابنته ميمونة وكلها عطف عليه) .

جحا : أين أملك يا ميمونة ؟

ميمونة : في الحجرة الثانية .

جحا : وعلمت بما حدث ؟

ميمونة : نعم .. بلغها من الجيران .

جحا : لا حول ولا قوة إلا بالله .

ميمونة : الحمد لله يا أبى إذ لم يصيبوك بسوء .

جحا : لا أخاف يا ميمونة إلا من لسان أملك .

ميمونة : (تنظر إلى الباب الأيسر) صد صد .

جحا : (بصوت خافض) يا ستار استر .

أم الفصن : (تظهر على الباب باديا في وجهها الشر) هذا أنت قد عدت .

جححا : نعم ... الحمد لله ...

أم الفصن : على ماذا ؟ على خيبتك ؟ انتظر حتى ينصرف الضيوف من عندي . ستري ما أصنع بك . (تخرج) .

جححا : اللهم اكفني شرها بحولك وقوتك . من ذا يا بنتي عند أملك ؟

ميمونة : من ذا يجيء عندها غير الخاطبات ؟ خاطبة تجيء وخاطبة تذهب .

جححا : يا لها من حمقاء ! يأكلن طعامنا ولا يصنعن لها شيئا .

ميمونة : (متوسلة) أخشى يا أبت أن

جححا : كلا لا تخافي يا ميمونة .. لن أزوجك لغير ابن عمك . لن ندع هذه السفهية تفرض رأيها على وعليك .

(يتقدم نحو المشجب فيأخذ جبهته فيرتديها ثانية)

ميمونة : (تستغرب فعلة) ما هذا يا أبى ؟

جححا : (كالذاهل الذى لا يعقل ما يفعل) تبألى ... هل لست الجبة مقلوبة ؟ (ينظر إلى الجبة عليه) .

ميمونة : كلا ما لبستها مقلوبة ... ولكن لماذا ارتديتها ثانية ؟ والعمامة أيضا؟ .

جححا : (يكوّر العمامة على رأسه) لا تصلح الجبة يا بنتي بغير

(مسمار جحا)

عمامة .

ميمون : ما خطبك يا أبى ؟ أتريد أن تخرج ؟
جحا : نعم يا ميمونة .. الخروج الآن أفضل لأبيك وأسلم !
ميمونة : إذا خرجت الآن فستعود على كل حال . وحينئذ يتضاعف
سخطها عليك . خير لك أن تواجهها الآن وتنتهى !
جحا : صدقت يا بنتى .. (يقعد قليلا ثم ينهض واقفا) لكن
لا صبر لى على هذا الانتظار القاتل .. سأخرج قليلا لأروح
عن نفسى .

ميمونة : إذا كنت أنت تخافها هذا الخوف فيأويلى منها !
جحا : ماذا تخافين أنت ؟
ميمونة : ماذا أخاف ؟. ستكرهنى على ما تريد دون أن يكون لى حام
ولا نصير !.

جحا : تكرهك على ما تريد ؟ أين أنا إذن ؟. ويحك يا بنتى
أتحسبننى حقا أخافها ؟ إنما أتقى شر لسانها فقط . (يتهدد)
آه من لى بواحد من أولئك الحواة المهرة ليعلمنى كيف
ينتزعون ألسنة الأفاعى فلا يخشى منها شر ؟

(يهم جحا بالخروج من الباب الأيمن . ولكنه يسمع
حركة انصراف الزائرات ونزولهن فى السلم فيتوقف)
ميمونة : هاهن قد خرجن يا أبى فاخلع الجبة والعمامة .. ماذا تقول
أمى إذا رأتهما عليك ؟ عجل !

جحا : إى والله لا سبيل الآن إلى الخروج . (يخلع جبته وعمامته

من جديد) اللهم اللطف بعبدك !

ميمونة : تشجع يا أبى ... لا تدعها تغلبك !

جحا : الله المعين (يتجلد كمن يتأهب لخطر داهم)

ميمونة : أغلظ لها القول ولا تلتن . صيخ فى وجهها إذا صاحت فى

وجهك .

جحا : (بصوت خافض) صد صد !

(تدخل أم الغصن من الباب الأيمن)

أم الغصن : ها قد فرغت لك يا أخيب الخياب ! (تلتفت إلى ميمونة)

ما وقوفك أنت هنا ، أما عندك من عمل ؟

ميمونة : قد فرغت من عملى فى المطبخ .

أم الغصن : والغسيل . هلا نشرته فى السطح ؟

ميمونة : السماء ما زالت غائمة .

أم الغصن : وستبقى غائمة إلى الأبد ! أطمعين يا بنت جحا أن ينقشع

الغيم وعندنا غسيل ؟ هذا مستحيل . اصعدى الآن

فانشريه .

(تخرج ميمونة من الباب الأيمن دون أن تبس بينت

شفة) .

أم الغصن : (تلتفت إلى جحا وهى تتحرق ثم تصيح فى وجهه) هيه

إذن فقد عزلوك يا خاسر يا خائب يا

جحا : (يبب في وجهها بلهجة أعنف من لهجتها) أوه ... وأى شيء في ذلك كل ولاية مهما تطل مدتها فمصيرها العزل !!
أم الغصن : (تذهلها هذه الصيحة من جحا فتلين لهجتها شيئاً ما)
طالما نصحتك يا رجل فلم تنتصح !

جحا : (يشعر بنجاح خطته فيستمر في إغلاظ لهجته) لا حاجة
بى إلى نصائحك !!

أم الغصن : هذه عاقبة طول لسانك .

جحا : أوه .. ماذا عند الواعظ غير طول اللسان !!

أم الغصن : (فى شيء من الحدة) خبرنى من أين تنفق علينا بعد اليوم ؟
جحا : (برقة ولطف) يا أم الغصن الرزق بيد الله .

أم الغصن : (تزداد حدة) نعم بيد الله لكنه ليس فى يدك . !

جحا : سيكون فى يدى حين أكتسب .

أم الغصن : (بحدة أشد) ما شاء الله .. ماذا تنوى أن تصنع بعد ؟

جربت الزراعة فكان يفشو فى زرعك الدود أو يأكله

الجراد . وجربت العطارة فأفلس دكانك مرة بعد مرة .

وجربت

جحا : (يعود إلى حدته صائحا) بس .. حسبك يا امرأة !

سأبحث لى عن عمل فإن لم أجد فسأشتغل حطابا .

أم الغصن : حطابا !

جحا : نعم .

أم الغصن : والله لو اشتغلت خطابا فلن يدعك حظك التعس حتى نجد
الحطاب قد اختفى من البرية فتكذب الحطابين معك .

جحا : (يرتاع مما سمع) أعوذ بالله من شر لسانك !

أم الغصن : بل من سواد حظك يا منحوس ونكد طالعك !

جحا : (متضعضع اللهجة) أجل لو لم أكن منكود الطالع
ما بُليت مع عقلى وحكمتى بامرأة مثلك .

أم الغصن : (عالية اللهجة) هيه .. أئى منا ابتلى بصاحبه . أنا
أم أنت ؟

جحا : (فى تضعضعه) كلانا نُكب بصاحبه . أنت نكبت بذى
عقل محسوب عليه عقله من رزقه ، وأنا نكبت بخرقاء
مسرفة لا تبقى ولا تذر .

أم الغصن : (تزداد لهجتها علوا) مسرفة ! مبذرة ! كأنا لك فضل
مال يمكن فيه الإسراف والتبذير ! وكأنا لم نعش طول
عمرنا مقترا علينا فى كل شيء !!

جحا : يا هذه لا تكفرى بنعمة الله !

أم الغصن : (بلهجة أشد) متى وجدت نعمة الله عندك يا رجل !؟

جحا : (تبدأ لهجته فى العلو) إن نعمته عندنا لموفورة ، ولكنك

تضيعينها بإسرافك وإهمالك !

أم الغصن : (تبلغ أوج العنف) ما شاء الله ! الآن أضفت الإهمال إلى
الإسراف !!

جحا : (مهاجما بعنف) نعم ! لولا إهمالك ما أكل القط لحمنا مرة

بعد مرة !!

أم الغصن : (تلين لهجتها) ما ذنبى ؟ قد قلت لك مرارا اطرُدْ هذا القط من بيتنا فلم تفعل .

جحّا : (ماضيا فى عنقه) وما ذنب القط ؟ إذا ترك له اللحم فأكله فالحقُّ على الذى تركه لا على الذى أكله !

أم الغصن :. (فى انكسارها) هذا القط الخبيث لا يعييه شيء . إنه ليتسلل إلى حيث اللحم بألف حيلة وحيلة .

جحّا : (فى سخرية) ياله إذن من قط عبقرى ! لو كان لى بعض ذكائه وكفايته لفتحت العالم !

أم الغصن : ماذا تريد أن تقول !

جحّا : اسمعى يا أم الغصن . إن احتملت منك هذا فيما مضى فلن أحتمله اليوم بعدما انقطع عنا هذا المورد من الرزق . إياك

ثم إياك أن تسمعينى حكاية القط مرة أخرى !

أم الغصن : (تتور من ألم الوخزة) هيه .. كأنك تريد أن تتهمنى .. ما بقى إلا هذا !

جحّا : كلا لا أريد أن أتهم أحدا الآن ، ولكن والله لئن فقدنا اللحم مرة أخرى لأهتدين إلى الجانى سواء أكان قطا خبيثا أم قطعة مأكرة !

الغصن : (يسمع صوته ينادى) أمى ! أمى !

جحّا : (يتمم) لكأننى بك قد عرفت الجانى يا بنى !

- أم الغصن : ماذا تقول ويلك ؟
جححا : إنه يقول : أمي ! أمي !
أم الغصن : أصمّ الله سمعك ! إنما هو يناديني !
جححا : معذرةً ظننته
الغصن : (صوته) أمي ! أمي !
أم الغصن : نعم ماذا تريد يا غصن ؟
الغصن : أنا هنا تحت فأين أنت ؟
أم الغصن : ويلك .. أنا هنا فوق ... ماذا تريد ؟
الغصن : أريد أن أراك .. هل تنزلين أنت تحت أم أطلع أنا فوق ؟
أم الغصن : اطلع أنت !
الغصن : إذن فانتظريني .. هأنذا طالع !
جححا : سبحان الذي أخرج هذا الولد من صُلبي !
أم الغصن : أي عجب في ذلك ؟
جححا : حقا لا عجب وقد خرج من بطنك وارتضع من لبنك !
أم الغصن : الولد سرّ أبيه !
جححا : الإناء الفاسد يفسد كل ما وضع فيه .
الغصن : (يدخل) عجبا .. هذا هو أبي عندك يا أمي .
أم الغصن : نعم .. ماذا تريد ؟
الغصن : أحقا عزلوا أبي من الإمامة والوعظ ؟
أم الغصن : (محتدة) هلا سألت أباك فهو أمامك ؟

الغصن : (يلتفت إلى أبيه) أحقا يا أبى عزلوك من الإمامة
والوعظ ؟

جحا : نعم يا بنى .

الغصن : إذن فلن تصلى بعد اليوم ؟

جحا : (متضاحكا) بلى يا بنى ولكن لن أصلى بالناس .

الغصن : لن تصلى بالناس فبمن تصلى ؟

جحا : لن أصلى بأحد . لن أكون الإمام .

الغصن : مسكين أنت يا أبى .. لكن لا تبتئس . ستبقى أنت الإمام

وأصلى أنا خلفك ، فإذا قلت : « ولا الضالين » فسأرفع

صوتي فوق أصواتهم جميعا وأقول : « آمين ! » (يقولها

بأعلى صوت) (يتضاحك أبوه وأمه) .

الغصن : (كمن يتذكر شيئا نسيه) خبرننى يا أماه أما رأيت

عرجون اليوم ؟

أم الغصن : خبيك الله .. ترانا فى هذه الحال وتسألنى عن ديكك ؟

جحا : (ملاطفا ابنه) ما بال ديكك يا غصن ؟ ألم يزل محزون

القلب على دجاجة الجيران صاحبتة ؟

أم الغصن : (لزوجها) وتجاريه أيضا فى حمقه وغباوته ؟

جحا : (يعرض عنها ملتفتا إلى ابنه) لا تبتئس يا بنى فسيجد

عرجون دجاجة أخرى خيرا من تلك التى فقدها .

الغصن : (فى ألم) لكن أين هو عرجون الآن ؟ لقد ضاع منى

عرجون نفسه !!

أم الغصن : (في اهتمام بالغ) ضاع ؟ أليس هو في حظيرة الدجاج ؟

الغصن : (في أسى) لا .

أم الغصن : أين ذهب ؟ لقد رأيته فيها الصبح .

الغصن : ذهب معي اليوم إلى سوق الفراخ فلم يعد .

أم الغصن : خييك الله ، ولماذا أخذته إلى سوق الفراخ ؟

الغصن : أردت أن أشتري له دجاجة جميلة كالمرحومة صاحبتة .

أم الغصن : هيه ... وماذا فعلت به ؟

الغصن : فرّجته على الدجاج هناك فلم تعجبه واحدة منهم .. ليس

فيه مثل دجاجة الجيران .. جازاهم الله ... ذبحوها دون

أن يشفقوا على حبيبها المسكين !

(يضحك جحا)

أم الغصن : (نافذة الصبر) أوه ... ماذا جرى لديك بعد ذلك ؟ هل

فرّ من يدك ؟

الغصن : كلا ولكنني أطلقته وقلت له : ارجع يا عرجون قبلي إلى

الدار .

أم الغصن : ما شاء الله (تحاكيه في كلامه ساخرة) ارجع يا عرجون

قبلي إلى الدار !!

جحا : (متلطفًا) لم لم ترجع به يا بنّي كما ذهبت به ؟

الغصن : كنت أريد أن ألعب مع رفاقي في الشارع .

أم الغصن : ما أغباك ! من قال لك إنه يعرف طريق الدار ؟
الغصن : كيف لا يعرف طريق دارنا في النهار وهو يعرف وقت أذان
الفجر في الظلام ؟

جحاح : (متعجبا مما سمع) صدقت يا غصن . (يدنو منه مواسيا)
هون عليك يا بنى ، أنت ضاع منك الديك وأنا ضاعت
منى الوظيفة !

الغصن : (يتملص من يد أبيه) كلا .. سأبحث عن عرجون في كل
مكان حتى أجده .. لا أستطيع أن أعيش بدون عرجون
(ينطلق خارجا) .

جحاح : سبحان الذى جعل له هذا الذهن العجيب دون أن ينفعه
به !

أم الغصن : مثلك تماما .. أى فرق بينك وبينه ؟ هو أضاع الديك
بحمقه ، وأنت أضعت الوظيفة أيضا بحمقك !

جحاح : (متفلسفا في صوت وقور كأنما يخاطب نفسه) أضعتها
بحمقى يا ترى أم بعقلى ؟!

أم الغصن : بحمقك لا ريب ؟

جحاح : (ماضيا في تفلسفه) أى فرق بين هذا وذاك ؟ النتيجة
واحدة ! عاقل أنا أو أحمق . النتيجة واحدة . هكذا الدنيا

فما أجهل من يأسى فيها على فائت !

(تظهر ميمونة في الدهليز متسللة وهى تضع يدها على

فمها كأنها تومئ لشخص أمامها أن اسكت . ثم يظهر حماد من الجانب الآخر فيقفان هنيهة ينصتان) .

أم الغصن : أجل روح عن نفسك بهذا الكلام الفارغ الذى لا يجيد سواه !

جحاح : (كمن يتنبه من غفلته) هونى عليك يا أم الغصن .. إن ضاعنت وظيفة الوعظ فسيعوضنا الله عنها خيرا .

الغصن : أبشر إذن بطول الجوع والفقر !

جحاح : يا هذه لا تتشاءمى ولا تقنطى من رحمة الله !

أم الغصن : (غير مصغية إليه) ثم أبشر ببقاء ابنتك عانسا حتى يبيض منها الشعر !

جحاح : ويحك ما شأن هذا بابنتى ؟

أم الغصن : من ذا يتزوجها اليوم بعد ما علم الجميع بعزلك من عملك ؟

جحاح : صاحبها موجود ، وفى وسعنا أن نزوجها له فى أى وقت نشاء .

أم الغصن : (ساخرة) تعنى حماد ابن أخيك ؟

جحاح : نعم ... ماذ بحماد ؟ إنه قد تلقى شيئا من العلم ، وله ذكاء وعقل .

أم الغصن : قلت لك ألف مرة : لن أزوج ابنتى لفلاح !

جحاح : سبحان الله وهل كنت أنا إلا فلاحا ابن فلاح ؟ وهل كنت

أنت إلا ابنة حمار بن حمار ؟

أم الغصن : (بعد صمت قصير) إن الناس قد نسوا أصلي وأصلك ،
وقد كنت موشكة أن أظفر لميمونة بزواج وجيه محترم ،
ولكن عزلك من عملك قد أفسد علينا كل شيء !

(يقبل عليها جمحا ملاطفا متحيبا وهي تتجافى عنه)

جمحا : يا أم غصن لعل الله أراد أن يحبط مسعاك حتى تكون ميمونة
لابن عمها حماد (تسحب ميمونة من الدهليز ويتنحج
حماد كأنه يشعر من في الحجرة بقدمه) .

حماد : (مناديا) يا عم جمحا !

جمحا : (فرحا) حماد .. ادخل يا حماد !

(يدخل حماد فيصافح عمه وامرأة عمه التي تنظر شزرا
إليه) .

جمحا : اجلس يا حماد (يجلس حماد) هل بلغك ما وقع اليوم
يا بني ؟

حماد : نعم .. بلغني كل شيء .. لا بأس يا عمي فلكل شدة فرج
ولكل ضيق مخرج .

جمحا : أشر على يا حماد فإنك لذو رأى . هذه خالتك أم الغصن قد
ظلت تعنفني طويلا على ضياع الوظيفة كأنما أبواب الرزق
قد سدت كلها في وجهي وكأنما سنموت جوعا .

حماد : (يتسهم) كلا يا خالة ... مثل عمي جمحا في عقله
وحكمته لن تسد في وجهه أبواب الرزق .

- أم الغصن : أجل قد نوى بعقله وحكمته أن يشتغل حطابا !!
جحا : وأى شيء فى ذلك ؟
حماد : كلا يا عمى .. لم يبلغ الأمر بعد إلى هذا الحد .
جحا : فماذا تقترح على ؟
حماد : تستأجر لك أرضا بجوار أرضى فنزرعها معا ، وما ينتج من الجميع يكون لنا شركة .
أم الغصن : الله الله ! تريد أن تجعل من عمك فى آخر عمره فلاحا مثلك !
حماد : ثقى يا خالتي أننى سأكفيه كل ما يشق من العمل ، فلن يقوم بغير السهل الهين منه .
جحا : لكن من أين لى يا حماد ما أستأجر به الأرض ؟
حماد : (بدون توقف) تباع هذه الدار .
أم الغصن : (مزيجرة) قبح الله رأيك ، أين تريدنا أن نسكن ؟ فى الشوارع والسكك ؟
حماد : سأنزل لكم عن كوخى وسأبتنى لى كوخا صغيرا أقيم فيه قريبا منكم !
جحا : هذا والله هو الرأى يا بنى .
أم الغصن : كلا .. لن نسكن بعد الدار فى كوخ ... ماذا يقول الناس عنا ؟
جحا : ما شأننا بالناس ؟ ليقولوا ما شاعوا .
أم الغصن : ما شاء الله .. الناس تتحول من دار إلى دار خير منها . وأنت تنقلنا من دار حقيرة إلى كوخ ! ثم من يدرى ماذا بعد

الكوخ ؟ لعلنا ننام بعد ذلك فى العراء ! كلا والله لا أدعك
تبيع هذه الدار أبدا !

جحا : ويلك أين عقلك ؟ ماذا نصنع بدارنا هذه إذا انتقلنا إلى
الريف ؟ أنقلها معنا ؟

أم الغصن : كلا لن نبرح البلدة لنقيم فى الريف .. لن نعود فلاحين فى
آخر العمر !

جحا : ويحك لأن نشبع فى الريف خير من أن نجوع هنا فى البلدة .
أم الغصن : لتجيعنا هناك كما أجعتنا هنا .. أو تظن يا شيخ أنك ستفلاح
فى زراعتك ؟ والله ليأتين الجراد على زرعك ولتفلسن كما
أفلسنا من قبل !

جحا : أعوذ بالله .. فأل الله لا فألك !
حماد : (يحاول التهذؤ) رويدك يا خالتي أم الغصن .. قد انقطع
الجراد منذ سنين فما عدنا نراه والحمد لله .

أم الغصن : نعم .. انقطع منذ ترك عمك الزراعة وسيعود إذا عاد .
(لجحا) إن شئت يا شيخ أن تنكب الفلاحين بنحسك
فهلم ازرع !

جحا : (يعتريه الخوف والإشفاق) أعوذ بالله من شر لسانك !
(يرفع بصره إلى السماء) يارب لم جعلت لسانها كأنه
قلم القدر يخط فى لوح الغيب ما سينزل على رأسى من
المصائب والنكبات !!

حماد : (مبتسما) ويحك يا عمى تلومها على التشاؤم وأنت تفعل

مثلها وأكثر !

جحاح : كيف لا أتشاعم يا حماد وهذا القلم المشعوم في فمها لا يجف
له مداد ؟ (يسمع دق الطبول النحاس من بعيد فيرتاع
جحاح وحماد) .

حماد : يا إلهي ما هذا !

(تنهض أم الغصن في خفة وقد بدا في وجهها شيء من
الفرح مشوب بالشماتة فتقف بجانب الشباك
مستطلعة) .

جحاح : (يتمتم) اللهم الطف بعبادك !

حماد : يا ويلنا .. هذى طبول نحاس ! (يستوى واقفا في
ذهول) .

أم الغصن : (تلتفت إليه شامته) أو تريدها طبول فضة وذهب ؟ !

جحاح : (يلحظها شزرا وهو في مكانه لم يتحرك) أعوذ بالله !
(تدخل ميمونة مرتاعة)

ميمونة : ما بقاؤك هنا يا حماد ؟ الحق مزرعتك !

جحاح : ماذا جرى يا ميمونة ؟

ميمونة : الجراد يا أبني .. الجراد ! رأيته من السطح قد سدت أرجاله
الأفق !

أصوات : (تسمع من الخارج) الجراد ! الجراد !

جحاح : لا حول ولا قوة إلا بالله ... انطلق يا حماد !

أم الغصن : (ساخرة) انطلق إلى وفود اليمين والخير والبركة فبلغهم

تحيات عمك !

ميمونة : (تنظر إلى أمها فى استياء وعتب) ؟
أم الغصن : إنهم وفدوا التهئة أيلك على الأرض المباركة التى سيزرعها !
حماد : السلام عليكم (يهرول نحو الباب لينخرج فيظهر الغصن
ويستوقفه) .

الغصن : حماد ألم تر عرجون يا حماد ؟

حماد : عرجون ؟

الغصن : نعم .. عرجون ديكى العزيز . أما قابلته فى طريقك ؟
ميمونة : (تجذب يد الغصن عن حماد) دعه يا هذا ينطلق إلى
مزرعته وابحث أنت عن ديكك .

(يخرج حماد)

الغصن : (يدور فى الحجرة باكيا) ديكى . ديكى ! ضاع ديكى .

الأصوات : (من خلال قرع الطبول) الجراد ! الجراد !

جنحنا : (يرفع بصره إلى السماء) اللهم لا اعتراض على
حكمتك !

أم الغصن : (فى شماتة بالغة) ألم أقل لك ؟ هذه نيتك وحدها قد
جلبت الكارثة على رؤوس الفلاحين فكيف لو....

جحاح : (يهب واقفا ويصيح فى وجهها مزجرا) اخرسى

يا ملعونة ! اغربى عن وجهى ! (كأنما يهم بضربها)

اغربى عنى يا أم الشؤم ! يا بنت اللؤم ! يا أخت البوم ! ياربج

السموم ! يا شجرة الزقوم !

أم الغصن : (تتقهقر نحو الباب الأيسر) سمعا يا أبا النوائب ! يابن
الزرائب ! يا خائب ؟ يا سائب ! يا شائب ! يا عائب !
يا جلاب المصائب !

الغصن : (يستأنف صياحه وبكائه بعد ما وقف هنيهة يستمع إلى
شجار أبيه وأمه) . عرجون ! عرجون ! أين أنت الآن
يا عرجون ؟ أين أنت يا زين الديوك ؟ لا ريب أن اللصوص
سرقوك ! (يتخيل المشهد أمامه كأنه يراه) نعم نعم ،
ففى الطريق وجدوك . لا أمك ولا أبوك . ولا أختك
ولا أخوك ، ويلهم ، انقضوا عليك وأخذوك . وأنت
تصيح : كوك كوك .

تبا لهم ما رقوا لك ولا رحموك . (تجحظ عيناه رعبا)
يا ويلتاه بالسكين هددوك وروعوك ! (يصيح صيحة
ألم) آه . ذبحوك ! ذبحوك ! (يغمض عينيه لحظة ثم
يفتحهما ثانية) وى ! قد نتفواريشك ونظفوك ! . وى !
فى القدر طرحوك . وعلى النار طبخوك . وى وى . قطعوك
وأكلوك ! (يترنح فى ألم) كوك كوك كوك !
(يتهاوى على الأرض فيخف لنجدته أبوه وأخته ليواسياه
وتظهر أم الغصن على الباب)

(ستار)

(مسمار جحا)

المنظر الثالث

في دار جمحا قاضى قضاة الدولة ببغداد .. حجرة واسعة يدل ما فيها من الأثاث الفاخر الجديد على النعمة واليسار . للحجرة بابان . أحدهما (على يمين المسرح) يؤدي إلى الخارج ، والآخر (على اليسار) يؤدي إلى داخل الدار . لوحتان معلقتان في الجدار كتبت على إحداهما : « وأما بنعمة ربك فحدث » وعلى الأخرى : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية »

(الوقت : الصباح الباكر)

(يرى جمحا — عند رفع الستار — جالسا على الأريكة والسبحة في يده يقلب حباتها وهو يتمم وعلى وجهه سحابة من الغم والحيرة) .

: (يرفع بصره إلى السماء) . اللهم إني في حيرة من أمرى : لا أدرى أفي نعمة أنا فأشكرك ، أم في فتنة فأستغفرك ؟ اللهم اكشف عني هذه الحيرة واهدني سواء السبيل !) يقوم فيتناول المصحف من الرف فيفتحه فما ينظر فيه حتى تلحقه روعة فيتمم) :

جمحا

ومن يتولهم منكم فإنه منهم .. ومن يتولهم منكم فإنه منهم !

(تدخل أم الغصن من خلفه)

أم الغصن : سبحان الله .. تقرأ المصحف وأنت واقف ! لا نفع إذن لهذه الأرائك والوسائد !

جحا : (يفيق من استغراقه فيطبق المصحف ويعيده إلى مكانه في الرف) ؟

(تدخل زيتونة من الباب الأيمن)

أم الغصن : هيه .. من الذى كان يقرع الباب البرأى ؟
زيتونة : شاب يا مولاتى ذو هيئة حسنة (تلتفت إلى جحا) يريد يا سيدى مقابلتك .

جحا : قولى له إنى لا أقابل أحدا فى دارى ، فإن شاء مقابلتى فليجئنى فى ديوان القضاء .

زيتونة : سمعا يا سيدى (تخرج) .
جحا : ويلي من هؤلاء الناس لا يستطيعون أبدا أن يصدقوا أن صاحب الحق يصل إلى حقه بغير الرشوة .

أم الغصن : ألا تقابله فترى ما عنده ؟
جحا : هذا ليس من شأنك .

أم الغصن : من أين تعلم أنه جاء لرشوتك ؟ ربما جاء لأمر آخر .
جحا : ليخطب ابنتك فى وجه الصبح ؟

- أم الغصن : لم لا ؟ كل شيء محتمل .
- جحاح : يا هذه ظللت زمنا تطلقين خاطباتك كالشواهين والصقور فما استطعن حتى اليوم أن يجئتك بصيد سمين .
- أم الغصن : تريد أن تحجزها لحماة ابن أخيك .. لكنى لن أبلغك ما تريد !!
- زيتونة : (تدخل) الرجل يلح في مقابلتك يا سيدى قائلا إنه عبد القوى الكاتب .
- جحاح : عبد القوى الكاتب ! ويلك قولى له يدخل ! انطلقى !
- (تخرج زيتونة منطلقة)
- (تقع عين جحاح على اللوحتين المعلقتين في الجدار فينزلهما ويضعهما على أحد الرفوف)
- أم الغصن : (محتجة) لماذا أنزلتهما ؟ دعهما في مكانهما يا رجل .
- جحاح : وضعهما هنا أفضل .
- أم الغصن : ما فعلت هذا إلا لتغيظنى يا قليل الدين .. هاتان آيتان من كتاب الله !!
- جحاح : يا عجوز السوء إن الله ما أنزل القرآن لتتخذى أنت من آياته وسيلة لمباهاتك وفخفتك : (يخرج لاستقبال ضيفه) ..
- أم الغصن : لأعلقهما على رغم أنفك : (تأخذ اللوحتين من الرف

فتعلقهما حيث كانتا من قبل) لا بارك الله من جعلك
قاضى قضاة المسلمين : ... عبد القوى الكاتب : ترى
ما الذى جاء به الساعة ؟ يارب اجعلها بشرى خير !
(تحيل بصرها فى أرجاء الحجر) الحجر غير
مكنوسة .. لعنة الله على هاتين الجاريتين : وجودهما
وعدمهما سواء . (تصلح بعض الوسائد على الأريكة)
كل هذا من ميمونة .. هى التى تفسدهما على ! (تقف
هنيهة كأنها تفكر فى أمر ثم يبدو فى وجهها السرور) :
الحمد لله .. عندنا اليوم عصيدة ! (تخرج مهرولة من
الباب الأيسر) .

(يدخل جحا وعبد القوى) .

جحا : (يتقدم ضيفه نحو الأريكة) مرحبا بك يا عبد القوى ..
اجلس . (ينظر إلى الجدار فىرى اللوحين معلقين من
جديد فيظهر فى وجهه شئ من الامتناع)

عبد القوى : (يجلس) لا ريب يا قاضى القضاة أنك تعجب لجيئى
إليك فى هذا الصباح الباكر .

جحا : (يزول امتناعه وتحل محله البشاشة) لا يا عبد القوى ..

ما تركت لى الأيام من شئ أعجب منه .. لعلك سمعت

عن عصيدة أم الغصن فاشتيت أن تذوق منها اليوم .

عبد القوى : (مازحا) اطمئن يا أبا الغصن على فطورك فما جئت

لأشارك فيه !

جحاح : (مبتسما) بل اطمئن أنت على بطنك من المغص فلن نقدم لك شيئا منه .

عبد القوى : (ينفجر ضاحكا) ما أحسب طعامكم من الرداءة كما وصفت . لعلك تريد أن تزهدنى فيه لئلا أطلبه ... إنكم يا أهل الكوفة المعروفون بصنع الأطعمة الفاخرة ! نحن أهل بغداد نتحدث بذلك .

جحاح : (ينظر نظرة خاطفة فى اللوحتين المعلقتين) هل تحسب امرأتى من نساء الكوفة المشهورات بتجويد الطعام ؟ هذه — أبارك الله — ولدت فى قرية حقيرة هناك .
عبد القوى : (يغالب ضحكته) لكنكم أقمت بعد ذلك زمنا طويلا فى مدينة الكوفة .

جحاح : نعم ولكن طهيها لم يتغير .. نفس الأطعمة الغليظة التى تفسد المعدة والكبد وتبلد الدهن وتعمى القلب .

عبد القوى : إن ذكاءك الخارق ليكذب ما تقول .

جحاح : ذلك أنى ما اعتلفت من طعامها إلا بعد أن اشتد عودى فنجوت من سوء أثره . ولكن لو رأيت ابنى الغصن الذى نشأ على علفها لتعجبت كيف خرج هذا الولد من صلب إنسان عاقل .

عبد القوى : (يضحك) ما زادنى حديثك هذا إلا إغراء بأن أجرب

فأكل من طعامكم .

جحا : عافاك الله .. إن شئت تجربته فجرّبه أولاً على دابتك .
عبد القوى : (يقهقه ضاحكا) إنك يا أبا الغصن لتظلم أم أولادك .
هذا الأثاث لا يؤيد صدق ما تزعم .

جحا : (يلمح اللوحتين المعلقتين) أو قد غرك المظهر ؟ حقا إن زينا قد تبدل منذ أن صارت امرأة قاضى قضاة الدولة في بغداد فأصبحت تلبس مثل البغداديات المترفات المتأنفات . ولكن خلقتها ظلت كما هي . أما خلقتها — والعياذ بالله — فقد صار أسوأ مما كان إذ أفسدها البطر فأصبحت لا تطاق !

عبد القوى : (يضحك) حسبك الله يا أبا الغصن ، إنما كان حديثنا عن الطعام .

جحا : فكذلك طعامنا قد اختلفت آنيته اليوم ، فلم نعد نأكل في صحاف الخشب السود ، بل صرنا نأكل في أطباق الصينى الأبيض الناصع . ولكن الطعام نفسه — أجارك الله — بقى كما كان . وما أحسبك يا عبد القوى تشتى أن تأكل الآنية ذاتها بل ما فى الآنية !

عبد القوى : (يقهقه ضاحكا) حسبك الله يا أبا غصن . ما أظرف حديثك !

جحا : هيه .: كأنك ما زلت تشك فى صحة قول (ينهض)

والله لأذيقنك من طعامنا لتنتلق من عندنا إلى الطبيب
البيطرى !

(يخرج مهرولا)

عبد القوى : (يضحك مليا حتى يمسح الدمع من عينيه) حسبه
الله .. ما رأيت مثله حسن مدخل ولطف مخرج ! خشى
أن أعتذر عن طعامه فطفق يستدرجنى بحيلته حتى
وقعت فى قبضته .

جحا : (يدخل) الآن ستفصل التجربة بينى وبينك !

(تدخل خلفه زيتونة وصابحة إحداهما تحمل خوانا
« كالمطبية » فتنبه أمام الأريكة والأخرى تحمل طبقا
كبيرا « كالمصينة » عليه صحاف وأقداح فتضعه على
الخوان المنصوب)

جحا : (للجاريتين) أحسنتا .. (تخرجان) .

عبد القوى : (باسما) قد غلبتنى يا قاضى القضاة !

جحا : (يجلس ليؤاكل ضيفه) ويحك يا صاحب الوجهين من ذا
يستطيع أن يغلبك ؟

عبد القوى : (يضحك) لو شئت يا قاضى القضاة أن يكون لك مائة
وجه لأمكنك ، فبهيات لذى وجهين أن يقدر عليك !!

جحا : هيا إذن كل .. هذه عصيدة شهية لا تجد مثلها لا عند
صاحبك الحاكم ولا عند صاحبك السلطان ! إن امرأتى

أم الغصن لا تحسن شيئاً في الحياة سوى صنع الطعام !

(يأخذ الرجلان في الأكل)

جحا : (يلمح اللوحة التي عليها : كلوا واشربوا هنيئاً بما

أسلفتم في الأيام الخالية) في مذهبا أن الله ما خلق الجن

والإنس ليعبدوه بل ليحشوا بطونهم !

عبد القوى : (يضحك قليلاً ثم يكف عن الضحك فجأة) ويحك

يا قاضي القضاة لقد شغلتنى نكاتك فأنستى أن أحدثك

فيما جئت من أجله .. إن مولانا السلطان يريد أن تقابله .

جحا : مولانا السلطان !

عبد القوى : نعم .. أمرني أن أستدعيك لمقابلته اليوم .. إنه شديد

الشوق إلى لقاءك .

جحا : (يتغير وجهه قليلاً كالتردد) لكن ...

عبد القوى : لا تخف فلن يعلم أحد غيرنا بأمر هذه المقابلة ...

سأوصلك أنا إليه بنفس الطريقة التي أتردد بها عليه .

جحا : كلا يا عبد القوى لست خائفاً من ذلك ، ولكني لا أدري

بأى وجه أقابله — أيده الله — وأنا أسير في ركاب هذا

الحاكم الدخيل !

عبد القوى : ما هذا يا قاضي القضاة ؟ قد قلت لك مراراً إنه يعلم حقيقة

حالك . ألا ترى كيف يثق بي وأنا كاتب هذا الحاكم

الدخيل أعمل في خدمته ليل نهار ؟

جححا : حقا إنك لعجيب .

عبد القوى : لو تعلم يا قاضى القضاة كيف يعزك مولانا السلطان
ويثنى عليك !

جححا : واخجلتاه .. هذا عطف لا يستحقه مثلى !

عبد القوى : لِمَ لا ؟ إنه يرجو الكثير منك فى سبيل الوطن ! لقد رويت
له أمس تلك النكتة اللاذعة التى أرسلتها فى مجلس الطاغية
منذ أيام ...

جححا : فماذا قال أيده الله ؟

عبد القوى : طرب لها كثيرا وضحك حتى استلقى على قفاه وهو
يقول : والله ماله غير جححا ... والله ماله غير جححا !

جححا : (يتهلل وجهه سرورا) بشرك الله بالخير يا عبد القوى .
هذا والله أحب إلى نفسى من كل ما طلعت عليه
الشمس .

جححا : (يصمت قليلا ثم يقول) خبرنى الآن عن هذا الأجنبى
الدخيل ما حقيقة رأيه فى ؟

عبد القوى : قد علمت أن رأيه فىك جميل وأنه يقدرك ويمجلك ..

جححا : نعم ... هذا ظاهره ، وإنما أسألك عن باطنه .

عبد القوى : إنه فى الحقيقة رجل لا يسبر غوره ... ولكن باطنه
لا يعينيك بقدر ما يعينك ظاهره لأن هواه تبع لمصلحته !

جححا : الحق أنى شديد العجب مما يبديه هذا الرجل لى من المودة

والخفاوة .

عبد القوى : لا عجب في ذلك ، فالخدمة التي قدمتها له لم يقدّم مثلها له أحد . إنك أنقذته من ثورة عامة كانت توشك أن تزلزل أركان نفوذه في البلاد .

جحاح : لكنه يعلم لا شك أنني كنت متواطئاً مع ابن أخي حماد الذى قاد تلك الثورة .

عبد القوى : وماذا يعنيه ذلك ؟ لقد رأى الفلاحين يثورون على ملاك أراضيهم عقب كارثة الجراد ، ورأى الوزير علقمة صنيعته يشتد في قمع تلك الثورة ليرضى نصراءه الملاك ، حتى زادها اشتعالاً فكادت تعصف بنفوذ هذا الدخيل . ثم جئت أنت إليه في تلك اللحظة الحرجة فأسعفته بالحل الحاسم والدواء الناجع . فماذا يعنيه بعد ما استتب له الحال أكان لك باع في تلك الثورة أم لم يكن ؟

جحاح : لله أنت يا عبد القوى .. ما أنفذ ذهنك في غوامض الأمور !

عبد القوى : والله ما أعجب إلا منك ومن ابن أخيك كيف استطعتا — وأنتما لم تمارسا السياسة ولم تخبرا أسرارها — أن ترسما تلك الخطة العجيبة فأصبتما هدفين برمية واحدة : حققتما مطالب الفلاحين المنكوبين وخلصتما البلاد من عهد علقمة البغيض !

جحاح : لو عرفت كيف وقع هذا كله لأضحكك !

عبد القوى : كيف ؟

جحاح : أنا كنت السبب في نكبة الفلاحين !

عبد القوى : ماذا تقول ؟

جحاح : أنا جلبت الجراد عليهم بشؤمي ونكد طالعي .

عبد القوى : إني لا أفهم ما تعنى ..

جحاح : (يقدم الطعام له) كل أولا .

عبد القوى : هأنذا آكل .. (يأكل) .

جحاح : لما عزلني فيروز والى الكوفة من الإمامة والوعظ خطر لى

أن أعود إلى فلاحه الأرض ، ولكن امرأتى أم الغصن

استنكفت أن تعود فلاحه كما خلقها الله ، فأخذت

تجادلنى وتعارضنى — كل يا عبد القوى ؟

عبد القوى : أتمم .. هأنذا آكل .

جحاح : وكان حماد ابن أخى يؤيدنى فى رأىى . فلما رأت العجوز

تصميمى على ذلك طفقت تنذرنى بأن الجراد سياتل

زرعى إن عدت إلى الزراعة ، وسأنكب بذلك سائر

الفلاحين معى . فاستعذت بالله من قولها لعلنى أنها امرأة

مشغومة ما تطيرت بسوء قط إلا وقع كفلق الصبح ..

عبد القوى : (يضحك) ويحك يا قاضى القضاة لشد ما تظلم

امرأتك !

جحا : لا والله يا عبد القوى .. أتدرى ماذا وقع ؟

عبد القوى : هيه ..

جحا : إننا لفي ذلك النقاش ولم يغادر أحد منا مجلسه إذ سمعنا

طبول النحاس تدق ، وإذا أرجال الجراد تسد الأفق !

عبد القوى : (يضحك) في نفس الساعة !!

جحا : إى والله في نفس الساعة ، ومن النية وحدها فكيف

لو قرنتها بالعمل !

عبد القوى : (ضاحكا) ثم ماذا جرى بعد ذلك يا أبا الغصن ؟

جحا : جاءني ابن أخي بعد أيام يشكو لي أن الجراد لم يبق له على

شيء ، وأن مالك أرضه استولى على أبقاره وماشيته وجميع

ما فوقه وما تحته ، وأن هذه حال سائر الفلاحين . عندئذ

تعازم شعوري بأننى كنت السبب فيما حاق بهؤلاء

المنكوبين ، وأن على أن أكفر عن ذنبى بعمل ما في

سبيلهم ، فكان هذا الذى اتفقت مع ابن أخي عليه :

فقاد هو الثورة ، وفاوضت أنا الحاكم ... ما بالك لا تأكل

يا عبد القوى ؟

عبد القوى : الحمد لله .. قد أكلت فأكثرت (يسمح يده بالمنديل) .

أين ألقاك الليلة لأذهب بك إلى السلطان ؟

جحا : اقترح أنت !

عبد القوى : في جامع المنصور عقب صلاة المغرب ؟

- جحا : حسن .
- عبد القوى : (يحاول أن ينهض) ائذن لى الآن يا أبا الغصن .
- جحا : أنا ذاهب إلى الديوان . انتظر لحظة لأخرج معك (يخرج من الباب الأيسر) .
- عبد القوى : (يتمم) سيكون له فى كفاحنا شأن !؟ هذا العقل الكبير لا ينبغى أن يذهب سدى .
- (يعود جحا مسرعا وقد ارتدى جبهته وعمامته فيخرجان من الباب الأيمن) .
- (تدخل زيتونة وصابحة فتقتربان من اللوحتين المعلقتين وهما تلتفتان جهة الباب فى حذر بالغ) .
- صابحة : (بصوت خافض) ويلك ماذا تقول أم غصن حين تراهما فى الرف ؟
- زيتونة : ستظن أن الشيخ هو الذى أنزلهما فتميز غيظا دعيها تنفلق (تسمع حركة قادم فتسرعان إلى إنزال اللوحتين من الجدار ووضعهما على أحد الرفوف) .
- (تدخل ميمونة فتتظر إحدى الجاريتين إلى الأخرى كأثما تتفسان الصعداء إذ لم تكن أم غصن هى القادمة وتبتسمان) .
- ميمونة : ما خطبكما ؟ ماذا تصنعان ؟
- زيتونة : لا شيء يا سيدتى .. دخلنا لرفع هذه الصحف .

(ترفع إحداهما الطبق والأخرى الخوان فتخرجان متغامزتين)

ميمونة : (تحيل بصرها في أنحاء الحجره) يا للعيب .. جاء الضيف والحجره غير مكنوسه . (تنطلق في خفة نحو الباب فتخرج ثم تعود ومعها مكنسه ومغرفة للكناسه فتأخذ في كنس الحجره ، تبسم وهي تحدث نفسها)
سيجيء اليوم حماد ! سيتغدى عندنا اليوم حماد !
(تدخل أم الغصن)

أم الغصن : (في استياء وغضب) ماذا تصنعين يا وضيعه الأصل ؟
ألم أقل لك مرارا ألا تسمى المكنسه بيدك ؟

ميمونة : دعيني يا أماه أتم كنس الحجره قبل أن يجيء ضيف آخر .

أم الغصن : (في صراجه) ارمى المكنسه من يدك ! ماذا تصنع جوارينا في الدار إذن ؟ يأكلن ويشربن وينمن ؟!
(تنادى بأعلى صوتها) زيتونه ! زيتونه !

(تدخل زيتونه مسرعه في خوف)

زيتونه : نعم يا مولاتي .

أم الغصن : ويلك يا ملعونه ! ... تتركين سيدتك ميمونه تكنس لك ..

أين كنت ؟.

زيتونه : كنت أمشط شعر الغصن .

أم الغصن : (تسنشط غضبا) أيتها الوقحة .. قولى : سيدى
الغصن .. إنه سيدك !!

زيتونة : معذرة يا مولاتى .. كانت منى زلة لسان .

أم الغصن : إن فعلتها مرة أخرى سللت لسانك من حنكك ؟!

زيتونة : سمعا يا مولاتى .

أم الغصن : ماذا تنتظرين ؟ خذى المكنسة !

زيتونة : سمعا يا مولاتى سمعا (تأخذ المكنسة من يد ميمونة التى

كانت تنظر وتسمع فى صمت . تشرع زيتونة فى

الكس) .

أم الغصن : (تنظر مكان اللوحتين فتجدهما موضوعتين على

الرف) من أنزل هاتين اللوحتين من الجدار ؟

ميمونة : (تمزكتفيا)؟

أم الغصن : أنت يا زيتونة ؟

زيتونة : لا والله يا مولاتى .. وجدناهما هكذا حين رفعنا

الصحاف !

أم الغصن : (تنهد وتنظر إلى ميمونة) أبوك القليل الدين !!

(تعلقهما أم الغصن ثانية وفى خلال ذلك تنظر ميمونة

إلى زيتونة كالمستفهمة فتبتسم زيتونة فتبتسم هى) .

الغصن : (يسمع صوته مناديا) زيتونة ! يا زيتونة ! تعالى مشطى

شعرى ! أين أنت ؟

زيتونة : (بحجة بصوت عال) أنا هنا يا سيدى .. سأعود إليك

حالا (تسرع فى الكنس)

الفصن : (صوته) زيتونة ! زيتونة !

أم الفصن : انطلقى إلى سيدك !

زيتونة : (تفرغ من الكنس) حالا يا مولاتى .. سأغرف هذه

الكناسة .

أم الفصن : (بغلظة) دعى ما فى يدك ! لبي أولا نداء سيدك !

(تترك زيتونة ما بيدها لتخرج) أين صابحة ؟ أين هذه

الجارية الملعونة ؟

زيتونة : لعلها فى المطبخ يا مولاتى .. سأدعوها لك حالا

(تخرج) .

ميمونة : لو كنت تركتنى يا أماء لفرغت من كنسها قبل الآن .

أم الفصن : كلا لا تكنسى ولا تعملى شيئا .

(تدخل صابحة)

أم الفصن : الآن جئت يا ملعونة بعد ما كنست سيدتك ميمونة

الحجرة ؟

صابحة : (فى انكسار) معذرة يا مولاتى ... ما كنت أدرى أنها

ستكنس الحجرة يا ليتها أخبرتنى .

أم الفصن : هيا اغرفى تلك الكناسة ثم انطلقى فاكنسى حجرة الحريم

قبل أن يجىء الضيوف .

(مسمار جحا)

- صابحة : سمعا يا مولاتي (تجمع الكناسة وتغرفها ثم تخرج)
أم الغصن : (لميمونة) كل هذا منك ! ما أفسد هاتين الجاريتين
غيرك !
ميمونة : إن بقيت على هذه الحال فسيعتريني الكسل ثم لا أصلح
بعدها لشيء .
أم الغصن : لأى شيء تريدان أن تصلحي ؟ للكنس والطبخ ؟ ماذا
يوجدك اليوم إلى ذلك ؟
ميمونة : لكنى لن أبقي عندكم إلى الأبد .
أم الغصن : أو تظنين أننى سأزوجك لصعلوك من الصعاليك ؟ والله
لا أزوجك إلا لثرى كبير من أبناء الأعيان وأرباب
القصور .
ميمونة : (كالساخرة) من أبناء الأعيان وأرباب القصور !
أم الغصن : نعم ... ألا تعرفين اليوم ابنة من أنت ؟
ميمونة : أنا ابنة الشيخ جحا الذى كان فلاحا ثم واعظ قرية !
أم الغصن : اسمعى يا ابنتى وافهمى ما أقول : جحا الواعظ وجحا
الطار وجحا البدال وجحا الفلاح .. كل هؤلاء قد ماتوا
جميعا وأكلهم التراب ، فأياك أن تذكرهم أمامى مرة
أخرى . أنت اليوم ابنة جحا قاضى قضاة الدولة .
أتفهمين ؟
(يدخل الغصن مرتديا حلة جديدة صفراء وعلى رأسه
قلنسوة حمراء وهو يختال عجا)

- أم الغصن : إلى أين يا غصن ؟
الغصن : سأخرج إلى رفقاءى يا أماه لألعب معهم .
أم الغصن : من هم رفقاؤك ؟ حذار أن يكونوا من أولاد الرعاع
المتسكعين فى السكك ؟
الغصن : كلا يا أمى ... كلهم من أولاد العيون ؟
أم الغصن : طلعت عيونك ! قل من أولاد الأعيان !
الغصن : نعم من أولاد الأعيان (ثم لنفسه كأنما يتحفظها لثلا
ينساها) الأعيان ... الأعيان ... الأعيان .
أم الغصن : (ترنو إليه معجبة) أما والله إنك لجميل فى هذه الحلة
يا غصن ؟
الغصن : (مزهوا بنفسه) ياليتك رأيتنى لما خرجت فيها أمس ،
كيف أخذت الأعيان كلها تتطلع إلى !
أم الغصن : العيون يا ولد ! قل العيون !
الغصن : (فى حيرة) قلت العيون فى الأول فقلت الأعيان ، فلما
قلت الأعيان الساعة رجعت فقلت العيون !
أم الغصن : أوه ! قل إذن ما يعجبك !
الغصن : أشكرك يا أماه (يتوجه نحو الباب الأيمن ليخرج)
أم الغصن : (تستوقفه) مهلا يا غصن . خبرنى أولا إذا سألك ابن
من أنت فماذا تقول لهم ؟
الغصن : سأقول لهم : أنا ابن الدولة !

أم الغصن : قطع لسانك . قل : ابن قاضى قضاة الدولة كما لقنتها مرارا
لك !

الغصن : (فى انكسار) ابن قاضى قضاة الدولة .

أم الغصن : فخمها قليلا .

انغصن : ابن قاضى قضاة الدولة فخمها قليلا !

(تنفجر ميمونة ضاحكة بعدما غالبت الضحك
طويلا)

أم الغصن : خبرينى يا ابنة جحا عن تضحكين ؟ من أخيك هذا الأبله
أم منى ؟

ميمونة : (مسترسلة فى الضحك) منكما معا !

أم الغصن : آه يا فاجرة !

ميمونة : ما حيلتى إذا كنت بعملك هذا تضحكين حتى الحجر ؟

والله لئن تماديت فى هذا لينقلبن أخى مجنونا !

أم الغصن : يا عاقه ، يا قليلة الأصل إنما أعلمه كيف يخاطب الناس
وألقنه آداب السلوك من أجلك .

ميمونة : (متعجبة) من أجلى ؟ !

أم الغصن : نعم من أجلك أنت ليكون عنواننا حسنا لك فلا يستكف

أبناء البيوتات من خطبة أخته التى هى أنت !

ميمونة : (فى سخوية) أشكرك يا أماه وأرجو أن تكفى نفسك

كل هذا العناء من أجلى !

أم الغصن : (تنفجر ثائرة) واحر قلباه منكم . قاتلكم الله جميعا من
والد وما ولد . أقتل نفسي كذا وتعباً لأرفعكم في عيون
الناس وتأبون إلا اللصوق بأصلكم الوضع . غورى الآن
من وجهى !

(تخرج ميمونة من الباب الأيسر دون أن تنفوه بكلمة)
الغصن : (يلتفت إلى أمه مكتئبا) أغاضبة أنت منى يا أماه ؟
أم الغصن : (حانية عليه) كلا يا بنى بل من أختك هذه العاقاة !
الغصن : (ينظر إليها مليا في رقة واستعطاف) هل لى أن أخرج
الآن ؟

أم الغصن : انتظر قليلا . دعنى ألقنك مرة أخرى ، أصغ إلى جيذا .
الغصن : نعم يا أماه .
أم الغصن : إذا سألك أحد : ابن من أنت فقل له هكذا (ترفع رأسها
في عظمة وتفخم الكلمات) أنا ابن قاضى قضاة
الدولة !

الغصن : (محاكيا أمه) أنا ابن قاضى قضاة الدولة !
أم الغصن : قلها مرة ثانية .
الغصن : أنا ابن قاضى قضاة الدولة !
أم الغصن : (تضرب على صدره بيدها معجبة راضية) بورك
يا بنى . اخرج الآن إلى رفاقك (ييم الغصن بالخروج)
مهلا يا غصن .

- الغصن : (فى يأس) هل أقولها مرة ثانية ؟
أم الغصن : لا لا يا بنى .. هل معك فلوس فى جييك !
الغصن : (يحرك جيبه فيسمع رنين الفلوس) نعم يا أماه .
أم الغصن : مرحى يا بنى ! لا بأس أن تُسمع رنينها هكذا
لأصحابك . ولكن حذار أن تدعهم يأخذونها منك .
لا تُخرجها من جييك أبدا ! أسمعهم رنينها فقط .
الغصن : (يحرك جيبه مرة أخرى) هكذا ؟
أم الغصن : نعم ... اخرج الآن .
(يتلفت الغصن وراءه كالحائف أن تستوقفه أمه مرة
أخرى ثم ينطلق خارجا كالسهم)
أم الغصن : (واقفة وحدها) ماذا أصنع لهذه البنت ؟ الضيوف
قادمون وهى عابسة غاضبة ! (كأنما عثت لها فكرة)
ليس لها غير زيتونة ! (تتوجه نحو الباب الأيسر)
زيتونة ! زيتونة !
زيتونة : (صوتها) لييك يا مولاتى ! (تظهر على الباب)
أم الغصن : أين سيدتك ميمونة ؟
زيتونة : فى غرفتها يا مولاتى تبكى .
أم الغصن : اصعدى إليها فتلطفى بها فإنها تحبك وتسمع لك .
زيتونة : سأفعل يا مولاتى .
أم الغصن : سرى عنها ولا تدعها حتى تغسل وجهها وتسرح شعرها

وتأخذ زيتنها كاملة !

زيتونة : سمعا يا مولاتي (تخرج)

(تهم أم الغصن أن تخرج وراء زيتونة ولكنها تتراجع إذ

تسمع وقع أقدام من جهة الباب الأيمن)

أم الغصن : ترى من هذا ؟ أو قد حضر الشقى حماد من الآن ؟

(يدخل جحا)

أم الغصن : أهو أنت ؟

جحا : ألم يجيء حماد بعد ؟

أم الغصن : (في تجاهل وازدراء) حماد ؟

جحا : ألم أخبرك أنه سيتغدى عندنا اليوم ؟

أم الغصن : أو هذا وقت الغداء ؟ نحن في أول الضحى يا شيخ !

جحا : ومن قال لك إننا سنتغدى الآن ؟ إنما بعثت إليه أن يحضر

الساعة لأحدثه في شأن من الشؤون .

أم الغصن : هيه .. علمت أن ضيوفا سيزوروننا اليوم ليخطبوا ميمونة

فأردت أن تكيد لنا أنت وابن أخيك !

جحا : ما أسوأ ظنونك ! والله ما خطر هذا ببالى قط ! وإنى عن

ذلك لفى شغل شاغل .

أم الغصن : ... كلا ... مارجعت من الديوان إلا لهذا . إنى أعرف

مكايدك ومكايد حماد ! والله لأطردنه إذا جاء !

جحا : (غاضبا) تطردين ابن أخى من دارى وأنا دعوته ؟

أم الغصن : نعم .. لن أدعه يكيد لي وأنا أنظر !
جحا : (يلين لهجته قليلا) ويحك ... ما حقدك على حماد ؟
ما ذنبه عندك ؟

أم الغصن : لن يهدأ بالي حتى أزوج ميمونة لغيره .
جحا : إذا رضيت بذلك فافعلي ...
أم الغصن : هذه طائشة لا تعرف مصلحتها ، وما دام حماد هذا يتردد
علينا فستظل مفتونة به .

جحا : إنه ابن أختي فكيف تبغين أن أوصلد بالي في وجهه ؟
أم الغصن : ينبغي أن يعرف هو واجبه فينقطع عنا إبقاء على مقامنا في
عيون الناس . عار علينا أن يعرفوا أن ابن أختك فلاح !
جحا : (يرفع رأسه إلى السماء) أستغفرك يارب ! ما أعلم أنني
جنيت في حياتي ذنبا أستحق عليه هذا العقاب المقيم !
أم الغصن : لكنني أعرف الذنب الذي عوقبت من أجله بك . خرشني
يوما قط كان عندنا وأنا فتاة عذراء فألقيت به من أعلى
السطح فتهشم رأسه ومات !

جحا : أعوذ بالله !
حماد : (يسمع صوته من جهة الباب الأيمن) يا عم جحا !
جحا : (يتفلس الصعداء) حماد ؟ ادخل يا بني !
حماد : (يدخل) السلام عليكم !
جحا : وعليكم السلام (يصافحه حماد ثم يصافح أم الغصن)

اجلس يا بنى ماذا أحرك ؟

حماد : هل تأخرت قليلا يا عمى ؟ لقد ظننت أنى سبقت الموعد
بقليل .

أم الغصن : نعم سبقت موعد الغداء بكثير !

جحا : مالنا وللغداء الآن ؟ هيا اتركينا وحدنا الساعة .

أم الغصن : بل سأبقى عندكما ... لست غريبة !

جحا : يا هذه أريد أن أحادثه على انفراد .

أم الغصن : كلا .. لا أدعكما تأتمران بى وبضيوفى ! اسمع يا حماد ...

اليوم ستخطب ميمونة لابن آل العمرى أصحاب القصر

الأبيض فى الكرخ . فانفض يدك منها وأرح نفسك .

لا تقف دون بحثها إن كان فىك بقية من خير ! اخطب

يا أخى من تشاكلها وتشاكلك !

جحا : يا هذه لا تضيعى وقتى بترهاتك فأنى عائد إلى الديوان بعد

قليل .

أم الغصن : أبقى لك عمل فى الديوان اليوم ؟

جحا : نعم .

أم الغصن : ما شاء الله ! تركت عملك الذى منه عيشك وجئت

لتتحدث مع حماد ! ما أراك إلا ساعيا فى عزلك من

منصبك .

جحا : (متعرقا) نعم من أجل أن أكسر أنفك وأعيدك إلى حياة

الفاقة والإملاق فهي أوفق لك وأجدر بك !

أم الغصن : يا أحمق إنما تكسر بذلك أنفك .

جحا : أنفى معى أنفك ! لا ضير على .. والله لقد سئمت نفسى هذه العيشة الزائفة . ماذا أفدت منها غير أن أبطرتك النعمة

فزادت خلقتك سوءا على سوء ؟

أم الغصن : والله ما بطر النعمة غيرك .. لا لوم عليك .. الجعران يموت من رائحة الورد ، كما يقولون ، ولا يطيب له العيش إلا فى ظلام جحره !

جحا : (غاضبا) قبحك الله .. فارقينا الآن وادخلى إلى جحرك !

(تظهر صابحة على الباب)

صابحة : مولاتى .. مولاتى .. الضيوف قد أقبلوا ..

أم الغصن : (تهض مرتبكة) الضيوف ! يا ويلتا أين هم !

صابحة : فى الطريق .. جاءت وصيفتهم تعلمنا بقدومهم !

أم الغصن : (تتنفس الصعداء) ويلك روعتنى يا ملعونة .. حسبتهم

قد دخلوا الدار (تلتفت إلى جحا قبل أن تخرج) .

جحا : ماذا تريدن ؟ تقعين معنا وتتركين ضيوفك ؟

(تنسحب صابحة وتخرج خلفها أم الغصن دون أن تنفوه

بكلمة)

جحا : الحمد لله رب العالمين ! (يقوم إلى الباب فيوصده ثم يعود

إلى مجلسه) مرحبا بك يا حماد .. إياك أن تبالى بما قالت

- خالتك أم الغصن . إنك تعرف لسانها السليط .
- حماد : لا بأس يا عمى .. إني أحتمل منها كل شيء .
- جحا : بوركت يا بنى .. هات الآن ما عندك .
- حماد : ألم تنزل يا عمى ضائق الصدر بهذا المنصب ؟
- جحا : ما سؤالك هذا يا حماد ؟ قد قلت لك إني أكاد أختنق !
- حماد : أفليس خيرا لك أن تستقيل من منصبك وتعيش في سلام ؟
- جحا : كلا كلا ماذا أكون صنعت إذن لأمتي وبلادى ؟
- حماد : لكن هذه أخطر يا عمى من تلك التى قمنا بها من قبل .
- جحا : أخطر حقا ، ولكن غايتها أخطر أيضا وأجل : سوف نقطع رأس الحية كما قطعنا ذنبها !
- حماد : لكن
- جحا : (محتدا) ويلك ... دعنى من تخذيلك .. إن كنت تخشى على نفسك من هذا الأمر
- حماد : كلا كلا يا عمى .. أنا طوع أمرك فى كل ما تريد . والله لو دخلت غيل الأسود لدخلته معك !
- جحا : (ينظر إليه راضيا) فخبرنى يا ابن أخى هل أعملت ذهنك فيما رسمت لك .؟
- حماد : نعم .. سهرت ليلة بأكملها فى ذلك .
- جحا : فبأى شيء فتح الله عليك ؟ هل وجدت القضية المطلوبة ؟
- حماد : وجدتها يا عمى أو كدت .

- جحا : هات .. أطلعنى على ما عندك !
- حماد : تبيع دارك هذه ، وتشترط على مشتريها أن يبقى لك حق التمتع بشيء ما فيها .. شيء غير ذى خطر .. رف فيها مثلاً أو حلقة فى سقف أو
- جحا : مسمار فى جدار !
- حماد : مرحى ! كأنك يا عمى قد اهديت إلى
- جحا : نفس الخطئة !
- حماد : سبحان الله !
- جحا : لكنى أنا القاضى يا حماد ، فيجب أن أهب لك الدار أولاً لتكون أنت البائع لها .
- حماد : هذا أيضاً قد خطر ببالى !
- جحا : هيه
- حماد : إى والله يا عمى ، ولكن خشيت إن أنا اقترحته أن تسيء الظن بقصدى .
- جحا : (يعانقه) حاشاى يا حماد وحاشاك !
- حماد : اتفقنا إذن .
- جحا : نعم هات يدك (يشد على يد حماد) عاهدنى على ذمة الله يا حماد أن تمضى معى فى هذا السبيل حتى الشوط الأخير مهما يلحقنا من أذى واضطهاد .
- حماد : (باسماً) وتعتقد لى بعدها على ميمونة ؟

- جحاح : نعم .
- حماد : عاهدتك على ذمة الله .
- جحاح : (ينهض) دعنى يا بنى أعود الآن إلى الديوان ... لا تنس أنك باق عندنا للغداء .
- حماد : (شارد الفكر قليلا) نعم ... نعم .
- جحاح : اعمل ذهنك فى خطتنا واستجل جوانبها ريثما أرجع من الديوان (يخرج مهرولا من الباب الأيمن) .
- حماد : (وحده) بل سأعمل ذهنى فى خطة أخرى (يدنو من الباب الأيسر فيقف قليلا ثم يخرج متسللا ويعود بعد لحظة وخلفه زيتونة) اسمعى يا زيتونة ...
- زيتونة : نعم يا سيدى .
- حماد : أو قد حضر الضيوف ؟
- زيتونة : نعم منذ هنية .
- حماد : وأين سيدتك ميمونة ؟ أهى فى الحجرة معهن ؟
- زيتونة : لا يا سيدى .. مازالت فى غرفتها تتزين .
- حماد : اصعدى إليها فقولى لها إنى أشتى أن أراها .. لا تدعى سيدتك الكبيرة تعلم .
- زيتونة : لكن يا سيدى ..
- حماد : افعلى ما أمرتك .
- زيتونة : سمعا يا سيدى .

(تخرج)

(يذرع حماد الحجرة جيئة وذهوبا حتى يسمع خطى
ميمونة فيقف) .

ميمونة : (تدخل في كمال زينتها ثانية بيدها ذيل حلتها الفاخرة)
حماد !

حماد : (منبها) ميمونة ماذا أرى ؟

ميمونة : أما يعجبك ؟

حماد : لله ما أروعك يا حبيبتى ولكن ...

ميمونة : ولكن ماذا ؟

حماد : هذا ليس لى بل لغيرى .. اجتهدت اليوم فى الزينة لتروق
عين هذه الزائرة التى عندكم فتخطبك لابنها السواسع
الثراء

ميمونة : لا والله يا حماد ما كنت لأفعل هذا لو لم تكرهنى أسمى
عليه ... ثق يا ابن عمى أنى لن أكون لغيرك .

حماد : لا بد يا ميمونة أن تصنعى شيئا تصرفين به هذه الزائرة
عنى .

ميمونة : كيف يا حماد ؟ ماذا أصنع ؟

(يراع الحبيبان إذ يسمعان وقع أقدام ثم تظهر
أم غصن) .

أم الغصن : (فى غضب) ما شاء الله .. نحن ننتظرك هناك وأنت هنا

يا فاجرة !

حماد : (في حدة) لالوم عليها ... أنا الذى دعوتها لأراها لحظة .
أم الغصن : جاءك العمى ! ماذا تريد منها ؟ لن تراها بعد اليوم ولن
تراك .. أسمعت ؟

حماد : بل سأراها وترانى ولن يقدر أحد أن يفصل بيننا .
أم الغصن : يا هذا أرح نفسك . لن نزوجها لك ولو جئتنا بالقمر فى
طبق !

حماد : بل سأزوجها ولن أجيئك بالقمر فى طبق !
أم الغصن : (تستشيط غضبا) ويلك ! أو قد جرؤت أن تخاطبنى
هكذا يا وقح ؟ اخرج من دارنا ... اخرج !

حماد : كلا لا أخرج من دارى !
أم الغصن : من دارك ؟ أو قد أصبحت هذه دارك أنت ؟
حماد : نعم ستعلمين غدا أنها دارى لا دارك ، وسأخرجك منها
وأعيدك إلى حيث كنت !

أم الغصن : اخرس يا صعلوك ابن صعلوك
(يدخل الغصن من الباب الأيمن فجأة وقد ربط قلنسوته
الحمراء من وسطها فبدت على رأسه كأنها عرف الديك
فأخذ يدور فى الحجرة وهو يصيح محاكيا صوت الديك)

الغصن : كو كو كو كو !! كو كو كو كو كو
أم الغصن : (تضحك قليلا كما يضحك حماد وميمونة ثم تظهر العبوس)

والصرامة وتنتهره) ما هذا يا ولد ؟

الغصن : (ماضيا في حركته تلك وصياحه) كو كو كو كو

أم الغصن : ويلك أجننت يا ولد ؟

الغصن : كو كو كو كو ! لست الآن ولدا يا أماه ... أنا الآن

ديك ؟

أم الغصن : ديك !

الغصن : نعم ... انقلبت ديكا في الحمام .

أم الغصن : في الحمام ؟

الغصن : نعم كنت في الحمام فانقلبت ديكا هناك .. كو كو كو كو

أم الغصن : وما الذى ذهب بك إلى الحمام ؟ ألم تقل لى إنك ستلعب مع

رفقائك ؟

الغصن : أخذوني معهم إلى الحمام فانقلبوا هناك دجاجا وانقلبت أنا

ديكا ... كو كو كو كو

أم الغصن : لا حول ولا قوة إلا بالله ... قد جن الولد .

الغصن : قولى الديك ... أنا الآن ديك ! كو كو كو كو

حماد : (يغالب ضحكته) كيف كان ذلك يا ديك ؟

الغصن : اسمى عرجون .

حماد : كيف كان ذلك يا عرجون ؟

الغصن : دخلنا الحمام ونحن من بنى آدم ، فلما انتهينا ولبسنا ثيابنا إذ

بصرت برفاق قاعدين على الأرض يزحرون ، ثم قاموا وقد

باض كل واحد منهم بيضة وجاء بها في يده وقالوا : بض مثلنا يا غصن ، فأخذت أزحر لعل أبيض مثلهم فلم يخرج مني شيء . فقالوا : قد انقلبنا دجاجا كما ترى لا نستطيع أن ندفع أجرة الحمام ، وأنت وحدك لم تنزل بني آدم فادفع أنت الأجرة عن الجميع .

أم الغصن : قاتلهم الله فهل دفعت ؟

الغصن : هممت أن أدفع يا أماه ، ولكنني تذكرت وصيتك لي ألا أخرج الفلوس من جيبى أبدا ، فحرت لا أدري ماذا أصنع ، وكدت أبكي لولا أني التفت إلى مرآة هناك فعرفت أنني انقلبت ديكا وأنا لا أعلم ، فرفعت عرقي هذا (مشيرا إلى قلنسوته) وصحت بينهم : كو كو كو كو كو ! حماد : ثم ماذا ؟

الغصن : ثم ما لبث الحمامي أن أقبل ، فلما رآنا قد انقلبنا إلى دجاج وديك أخذ عصاة ليطر دنا من حمامه فخرجنا هارين !
(يضحك الثلاثة)

الغصن : (يستأنف حركته وصياحه) كو كو كو كو كو !
(يتوجه نحو الباب الأيسر ليدخل)

أم الغصن : (تعترضه) قف هنا .. إياك أن تدخل يا أحق فتفضحه عند الضيوف . قبحكم الله جميعا شغلتموني عنهم بحماقاتكم : هيا يا ميمونة !
(مسمار جحا)

الغصن . : (متوسلا) دعى عرجون يا أماء يتفرج على الضيوف !
أم الغصن : (صائحة) اخرس ! إياك أن تدخل والله لأذبحنك
ذبحا إن فعلت !

الغصن : (فى أسى) مساكين الديوك ! ما لهم من بنى آدم غير
الذبح ! واهما عليك يا عرجون !
حماد : اطمئنى يا خالتي ... سأتولى أنا أمره
(يجذب الغصن بعيدا عن الباب)

ادخلا أنتما إلى ضيوفكما .. أنا كفيل برد هذا الديك مرة
أخرى إلى إنسان !
(تخرج أم الغصن وميمونة)

الغصن : كيف تردنى إنسانا مرة أخرى ؟
حماد : (فى رفق وتؤدة وبلهجة كلها جد) اسمع يا عرجون يا ابن
عمى إن فى هذه الحمامات شياطين تسحر الناس أحيانا
فتمسخهم حيوانات شتى .

الغصن : (يمتلئ خوفا) ويلي يا ويلي ، إذن فقد سحرتنا الشياطين .
حماد : نعم .. لكن لا تخف فإن هذا السحر قد بطل أثره عندما
خرجتم من الحمام .

الغصن : لكنى يا حماد ما زلت ديكما الآن .
حماد : كلا ما أنت الآن بديك ولا إنسان !
الغصن : فأى شئ أنا إذن ؟!

- حماد : أنت بين بين .
- الغصن : بين بين ! كلا لا أريد أن أكون بين بين ! (في توسل
وضراعة) خلصنى يا حماد !
- حماد : فماذا تريد أن تكون ؟
- الغصن : ديكاً مثل عرجون !
- حماد : كلا ليس في وسعى إلا أن أردك إنساناً كما كنت .
- الغصن : (في شيء من خيبة الأمل) إنسان ! لا بأس إذن أمري إلى
الله !
- حماد : قل معي هذا الدعاء : رب أعوذ بك
- الغصن : رب أعوذ بك ...
- حماد : من همزات الشياطين .
- الغصن : من همزات الشياطين ...
- حماد : وأعوذ بك رب أن يحضرون .
- الغصن : وأعوذ بك رب أن يحضرون .
- حماد : (يأخذ القلنسوة من رأس الغصن فيفك العقدة التي في
وسطها ثم يعيدها إلى رأسه) الحمد لله ! هأنذا يا غصن قد
عدت إنساناً كما كنت .
- الغصن : (يفرح قليلاً ثم يكتب) وعرجون أين ذهب ؟
- حماد : الله يرحمه ، ذهب مرة أخرى إلى حظيرته في الآخرة .
- الغصن : (يبدو في وجهه الأسى الشديد) مسكين عرجون ! أنا

- يرحمك يا عرجون .
- حماد : هل يعزّ عليك عرجون إلى هذا الحد ؟
- الفصن : كيف لا يا حماد وقد كان حبيبي الوحيد في هذه الدنيا ؟
- حماد : هل تحب يا غصن أن تدخل على قلبه السرور فيختال مرحا بين الديوك في الآخرة ؟
- الفصن : نعم نعم كيف أفعل ذلك ؟
- حماد : من التي كانت تطعمه الحب وتسقيه الماء حين كان معكم في هذه الحياة الدنيا ؟
- الفصن : ميمونة أختي .
- حماد : فأدخل على قلبها السرور ليتهج عرجون ويفرح منك .
- الفصن : كيف أدخل السرور على قلب ميمونة ؟ ماذا أفعل ؟
- حماد : إن أملك تعرضها كل يوم على الخطابات والزائرات لتجد لها من بين الأغنياء من يشتريها فيتزوجها ، ولكن لم يتقدم لها حتى الآن منهم أحد ، وفي وسعك أنت أن تساعد في تنفيقتها وترغب الناس فيها لو شئت .
- الفصن : كيف يا حماد ؟ ماذا أصنع ؟
- حماد : أتذكر يا غصن إذ كنا في الكوفة يوم خرجنا مع أبيك إلى السوق ومعه بقرته ليبيعهها هناك فلم يتقدم لشرائها أحد ، حتى نادى عليها الدلال يعدد محاسنها للناس فما لبثوا أن تهافتوا عليها فباعها أبوك بثمن مضاعف ؟

- الغصن : نعم نعم . تلك البقرة الصفراء التي كان أبى اشتراها من
الرجل القروى السمين ؟
- حماد : القروى السمين مضبوط ! هل تذكر كيف نادى الدلال
عليها وهو يقول : هذه بقرتنا بقرة أصيلة النسب ، صغيرة
السن ، وحامل فى شهرها السادس ؟
- الغصن : نعم أذكر ذلك .
- حماد : فادخل الآن إلى الضيوف الذين جاءوا ليشتروا ميمونة
فرغبهم فيها بمثل هذا القول .
- الغصن : (تنبسط أساريه كمن أعجبته الفكرة) إى والله يا حماد
لأقولن لهم ذلك . (ينطلق نحو الباب الأيسر ليدخل)
- حماد : (يستوقفه) مهلا يا غصن . ماذا تريد أن تقول لهم ؟
- الغصن : سأقول لهم هذه بقرتنا بقرة
- حماد : (مقاطعا) كلا يا غصن .. هذه ليست بقرة .. هذه
فتاة ..
- الغصن : فكيف أقول ؟
- حماد : قل هذه فتاتنا فتاة (يشير ييده أن أتمم الجملة إلى
آخرها) .
- الغصن : هذه فتاتنا فتاة أصيلة النسب ، صغيرة السن ، وحامل فى
شهرها السادس .
- حماد : أحسنت يا غصن انطلق الآن (يخرج الغصن) .

حماد : (يفرك يديه) هذا الديك سينقر عين أمه اللعينة نقرأ : إن
الله جنودا من الديكة ! (يترقب ويتسمع بجانب الباب) .
(تسمع جلبة من الداخل وضوضاء)

حماد : (منتشيا) ها قد وقعت الواقعة ! .
الغصن : (يسمع صياحه مقبلا) أغثنى يا حماد ! أدركنى يا حماد !
أم الغصن : (صوتها وراءه) لن ينقذك اليوم منى أحد ! والله لأمزقن
جلدك يا ملعون .

الغصن : (يدخل منطلقا فيلوذ بحماد) أغثنى يا حماد احمنى من
أمى ! (تدخل أم الغصن ويدها خيزرانة غليظة فتهمج
على ابنها لتضربه) .

حماد : (يحول بينهما) ماذا جننى يا خالتى ؟ ماذا صنع ؟
أم الغصن : (مستترا خلف حماد) والله ما أردت إلا أن أرغبهم فى
أختى !

أم الغصن : قبحك الله ! ترغبهم فيها بذلك الكلام القبيح !
(تدخل ميمونة فى ارتباك وخجل)
أم الغصن : (تلتفت إليها) ماذا جاء بك أنت ؟ هلا بقيت عندهم حتى
أعود ؟

ميمونة : عند من ؟ لقد قاموا وانصرفوا .
أم الغصن : يا لليوم الأسود ! كل هذا من هذا الولد الملعون ! (تدور

هي لتضربه) .

أم الغصن : يا هذا خل بينى وبينه !

الغصن : احمنى يا حماد !

(تصيبه أمه بضربة فينطلق هاربا نحو الباب الأيسر

فتجرى أمه خلفه حتى يخرج الاثنان) .

حماد : (يدنو من ميمونة وهو يتسم)؟

ميمونة : (تدنو إليه عاتبة) فعلتها يا حماد !

حماد : سامحيني يا حبيبتى .. فعلتها مضطرا لأنقذك .

ميمونة : يا ويلك من أمى ! الآن تعلم الحقيقة من الغصن فتشعل

الدنيا عليك وعلى معك .

حماد : لا تخافى .. لن تستطيع أن تحول بيننا بعد اليوم !

المنظر الرابع

في ديوان القضاء .. قاعة كبيرة . تقع المنصة في صدر المسرح وعلى جانبيها ممران يؤدي كل منهما إلى باب في أدنى المسرح من يمين وشمال .

يرفع الستار عن قاضى القضاة جحا جالسا في وسط المنصة بين قاضيين مساعدين عن يمينه وشماله ، وعلى يمين المنصة دكة منصوبة يساويها في الارتفاع قد جلس على مقاعدها الحاكم الأجنبى وكاتبه عبد القوى . ويرى كاتب الديوان على مقعد أمام المنصة من جهة اليسار ودونها في الارتفاع . وقد وقف إزاء كل من البابين جماعة من الشرطة يحولون برماحهم دون تدفق الناس الذين حضروا لشهود هذا المجلس إلى وسط القاعة .

(تسمع عند رفع الستار جلبة وضوضاء من

الخارج)

: ما هذه الجلبة ؟

الحاكم

: هذه جماهير الناس يا سيدى ما زالت تريد الدخول .

عبد القوى

- الحاكم : غلّقوا الأبواب وفرّقوا أولئك الناس !
(ينطلق أحد الشرطة لتنفيذ هذا الأمر)
- الحاكم : يا معشر القضاة لقد طال النظر في هذه القضية ،
فينبغي أن تفصلوا فيها اليوم وألا تؤجلوها أطول
مما فعلتم .
- جحا : لا حيلة لنا يا سيدى الحاكم فى ذلك ، فإننا لم نؤجل
الفصل فيها إلا رغبة فى تحرى العدل .
- الحاكم : لكن تأجيلها هذا قد أمكن دعاة الشغب فى البلاد أن
يتخذوا منها ذريعة لإيقاد نار الفتنة بين جماهير
الشعب .
- جحا : هذا لا يعفينا من واجبنا فى تحرى العدل ، ولا يجوز أن
يدفعنا إلى التعجل بالفصل قبل أن تطمئن قلوبنا إلى
سلامة الحكم . فالقضاء ينبغى أن يقول كلمته فى
معزل عن شهوات الحاكمين ونزوات المحكومين .
- الحاكم : أو من أجل مسمار معلق فى جدار نعرّض أمن البلاد
للخطر ؟
- جحا : القضاء يا سيدى لا يفرق بين مسمار من حديد
وقنطار من ذهب .
- الحاكم : قد كان فى وسعكم أن تصلحوا بين المتخاصمين
فالصلح خير .

جحا : أجل إن الصلح خير ولكن لا سبيل إلى إكراه أحدهما عليه ، وقد دعوناها مرارا إلى ذلك فما قبلنا النصح .
الحاكم : ما أدرى كيف تعجز أنت يا قاضى القضاة عن حمل ابن أخيك حماد ليقلع عن التشبث بشيء لا نفع له فيه .
جحا : يا سيدى الحاكم إن حماد هنا ليس ابن أخ لى بل خصما لا يفترق عن أى خصم آخر . وإذا لم يكن للقاضى أن يتحيز لقربيه فليس له كذلك أن يتحامل عليه . غير أنى سأجتهد بعد فى إقناعه بالحسنى عسى أن يرضى .
اثتوئى بالخصمين !

كاتب الديوان : (ينادى) تقدم يا حماد ! تقدم يا غانم !
(يتقدم حماد وغانم حتى يقفأ أمام المنصة)
جحا : يا هذان أما آن لكما أن تفيئا إلى الصلح فإن الصلح خير ؟ أنت يا حماد ألا تنزل عن مسمارك لخصمك فتكسب الأجر والثواب ؟
حماد : كلا لا أنزل عن حقى أبدا .
صوت : (يرتفع من بين الحاضرين) انزع يا حماد ! انزع مسمارك !

صوتان آخران : انزع يا حماد ! انزع مسمارك
(يبدو الغضب فى وجه الحاكم فيشير لعبد القوى)
عبد القوى : (يضحك بأعلى صوته) صه ! أخرجوا هؤلاء السفهاء

من هنا !) يتقدم الشرطة فيخرجون الهاتفين الثلاثة

بين همهمة السخط من سائر الحاضرين (

: (بعد أن يعود السكون إلى المجلس) هأنذا قد رأيت

جحا

يا حماد كيف أن الخلق كلهم عليك ، فكُن سمحا

وانزل عن مسمارك لا خير لك فيه .

: مالى وللناس ؟ والله لا أنزل عن حق أبدا إلا إذا

حماد

أكرهتمونى على ذلك بالقوة !

: (يلتفت إلى غانم) وأنت يا غانم كن سمحا واغنم أنت

جحا

الفضل خيرا لك . كم تدفع لحما حتى ينزل لك عن

مسماره ؟

: لا أدفع له شيئا ، إنها دارى قد اشتريتها منه ودفعت له

غانم

ثمنها فليس له عندى شيء .

: لكنه اشترط عليك أن يبقى له حق التمتع بمسماره هذا

جحا

وأنت رضيت بذلك .

: زعم لى أن لهذا المسمار مكانة فى نفسه وأنه حريص

غانم

على بقاءه فى مكانه من جدار الحجر ، فعددتها نزوة

من نزواته ، وقبلت شرطه هذا وما كنت أحسب قط

أنه ستردد على دارى ليل نهار ليطمئن بزعمه على هذا

المسمار !

(تسمع جلبة من الخارج ثم صوت امرأة تصيح)

الصوت : ابتعدوا من طريقي يا أوباش ! لا بد من دخول إلى الديوان ! ويلكم أنا امرأة قاضى القضاة !

(يتعجب الجميع ويدور بينهم التهامس)
(تدخل أم الغصن متبرقة وتقدم نحو المنصة فتقع عينا على حماد)

أم الغصن : ها هو ذا المحتال الأثيم . ابتعد عني يا خائن . (يتزحزح حماد قليلا عن موقفه)

جحا : (متجلدا) ما جاء بك هنا يا أم الغصن ؟
أم الغصن : لا كلام لى معك . إنما جئت لأشكوك لا لأشكو إليك ! يا عباد الله كيف تتحاكمون إلى رجل لا يعرف صلاح نفسه ، ولا يعرف كيف يقوم على أمره وأمر أهله وعياله ؟ هذه الدار التى كانت مشار هذا النزاع وهذه الضجة كانت مسكن أهله وعياله فما زال به . ابن أخيه هذا المحتال الخداع حتى وهبها له وأخرج منها أهله وعياله ، فاحكموا على هذا الأحمق السفیه أولا وأنصفوا أهله وعياله منه قبل أن تنصبوه قاضيا يحكم بين الناس !

الحاكم : ما بالك لم تتقدمى بشكواك هذه من قبل !
أم الغصن : ما كنت لأقدر على رفع شكواى قبل اليوم ، لمن أرفعها وهذا الشيخ هو الخصم والحكم ! ولكنى علمت اليوم

أنتك يا سيدى الحاكم ستحضر هذا المجلس فتحاملت
على نفسى وأزلت حجابى وبرزت لعيون الناس رغبة
فى إنصافك وعدلك !

جحا : أمّا إذ برزت للناس فاكشفى هذا البرقع عن وجهك
فذلك أصون لحجابك وأصرف للعيون عنك !
(ضحكك بين الحاضرين)

أم الغصن : اسكت يا قليل الحياء ! إنما أسوق حديثى إلى الحاكم .
الحاكم : ماذا ترى يا قاضى القضاة ؟

جحا : كان عليك يا سيدى أن تفهم هذه الجاهلة أن ليس لك
ولا لغيرك من الأمر شىء فى هذا الديوان ، وأن من يتغ
إنصافك فليرفع شكواه إليك فى قصرك !

أم الغصن : بل خشيت يا هذا أن أشهد الناس على حماقتك وسوء
تصرفك . والله لا أبرح مكانى هذا حتى أنصف منك
على رعوس الأشهاد .

جحا : سأريك الساعة أننى لا أخشى أن تشهدى الناس على
ما تزعمين (لحماد وغانم) ارجعا أنتما إلى مكانكما
حتى يجيئ دوركما .

(ينسحب حماد وغانم)

(ينهض جحا وينزل من مكانه فى المنصة حتى يقف
بجانب امرأته . وفى خلال ذلك يوسوس الحاك

لعبد القوى مليا ، ثم ينهض عبد القوى متسللا حتى
يدنو من غانم فيومئ له فينهض غانم ويخرج خلف
عبد القوى ، ولم يلتفت إليهما أحد لاهتمام الجميع بما
سيكون بين جحا وامراته .

جحا : (للقاضيين) احكما بيني وبين هذه المرأة .
القاضى الأول : ما شكواك يا أم الغصن ؟ فى أى شىء ظلمك
زوجك ؟

أم الغصن : ماذا أقول ! هذا الشيخ أخرجنى وعيالى من الدار التى
كننا نسكنها ووهبها لابن أخيه المحتال !
القاضى الأول : الدار داره ، فله أن يهبها لمن شاء ، ولا حق لك فى
الاعتراض عليه . ألم يسكنك وعيالك دارا أخرى
بعدها ؟

أم الغصن : أسكننا دارا حقيرة لا تليق بمقامنا ، وخير لنا منها أن
نسكن الشارع !

القاضى الأول : ألا يقيم هو معكم ؟
أم الغصن : يقيم معنا .

القاضى الأول : فكيف تزعمين أنها لا تليق بمقامك ؟
أم الغصن : إنه شيخ خسيس النفس ساقط الهمة ، لا يستنكف أن

يأوى إلى أى جحر يضمه ولو كان جحر خنفساء .
القاضى الأول : ماذا تقول يا قاضى ال يا أبا الغصن ؟

جحا : أصلحك الله أيها القاضى ، إن الدار التى نسكنها اليوم

تصلح لمن هي خير من أم الغصن حسبا وأزكى منها
نسبا . هذه كانت ابنة حمّار في إحدى قرى الكوفة
ولكن النعمة أبطرتها فصارت تزعم اليوم لزائرتها أن
أباها كان وزير دربندخان !

أم الغصن : بل أنت الذى تزعم أن جددك صحابى يدعى
جحوان .

(يعود عبد القوى إلى مكانه فيسر في أذن الحاكم
شيئا . يختلس جحا نظرة إليه دون أن يلحظه أحد ثم
يدخل غانم فيعود كذلك إلى مقعده) .

أم الغصن : هيه ماذا أسكتك ؟ هل تنكر أنك ادعيت هذا
النسب ؟

جحا : ويلك كيف أنكروه وهو نسب ثابت ؟

أم الغصن : ثابت ثبوت حماقتك ! ويلك ألم تكن دارنا المملوكة
التي أضعتها بحمقك خيرا من هذه الدار المستأجرة ؟
يا معشر القضاة أفى الحق أن ينزل عن كل ما ملك لابن
أخيه الذى ليس بحاجة إليه لترك أهله وعياله
يشحذون الناس من بعده ؟

القاضى : ما تقول فى هذا يا أبا الغصن ؟

جحا : إني ما وهبت الدار لابن أخى سفها كما تزعم هذه
المرأة ، ولكنى نظرت فوجدتني شيخا كبيرا وليس في

أهلى رجل رشيد غير حماد ابن أخى ، فخشيت إذا أنا
مت أن يضيع أهلى وعيالى ، فرأيت أن أجعل حمادا
وصيا عليهم يرعى شئونهم بعدى . غير أن امرأتى تكره
حمادا ولا تطيقه وما تنفك تعيره بأنه فلاح ابن فلاح
وأنه ليس كفؤا لابنتى التى أردت أن أزوجه لها ،
وابنتى تريد ولا تريد غيره . فإذا كانت هذه المرأة
تصنع كل هذا وأنا حى فماذا يكون حالها بعد وفاتى ؟
لذلك رأيت أن أجعل ابن أخى صاحب اليد العليا فى
الإنفاق على أهلى وعيالى حتى لا تقدر هذه السليطة
الحمقاء أن تغلبه على أمره ، فاتفقت معه على أن أهب
له الدار لبيعها فيستثمر قيمتها فى عمل رابح يستطيع
به أن يكفل لهم بعدى العيش الكريم .

أم الغصن

: ما شاء الله . وهل حماد هذا يوثق بأمانته ؟ لا ريب أنه
سيأكل مالنا ويحده ويتركنا نموت جوعا . انظروا
يا معشر القضاة إلى فعله لما باع الدار . كيف احتال
على مشتريها فاشترط ذلك الشرط الماكر ليضايقه
حتى يبتز منه مقدارا آخر من المال . أفهذا فعل رجل
أمين أم فعل محتال أثيم ؟

الحاكم

: أجل أجب على ذلك يا شيخ ، فإن ابن أخيك بعمله
هذا قد هيا لدعاة الشغب أن يثيروا الفتنة فى جماهير
الشعب .

جحا : تلك يا سيدى قضية أخرى لا كلام لى فيها إلا حينما
أعود إلى المنصة بعد أن يفصل القضاء بينى وبين
امراتى .

الحاكم : (للقاضيين) فاقضيا بينهما لنعود إلى ما كنا بصددده .
(يتشاور القاضيان هنيهة) .

القاضى الثانى : انصرفى الآن يا أم الغصن فسنبحث الشهود لمعاينة
منزلك واستقراء معيشتك ، فإن شهدوا بأنك حقا
مظلومة حكمنا على الشيخ جحا بما يرضيك .

أم الغصن : وبلى منكم ! قد علمت أننى لن أجد منكم عدلا .
(ترفع بصرها إلى الحاكم) أنصفنى يا سيدى الحاكم
أنصفنى ! (ترتفع همهمة سخط فى صفوف
الحاضرين)

الحاكم : قد سمعت ما قال القاضى فاسمعى وأطيعى .

جحا : (لامراته) هيا انصرفى الآن يا بنت وزير
دربندخان !

صوت : (يرتفع من بين الصفوف) إلى دربندخان ! إلى
دربندخان !!

(تدوى القاعة بالضحك ويدو الغضب فى وجه
الحاكم)

أم الغصن : (تلتفت إلى الحاضرين) قاتلكم الله يا غوغاء !
(مسمار جحا) .

- أصوات : إلى دربندخان !!
- أم الغصن : يا أوباش ! يارعا ع ! لا عجب أن تكونوا هكذا وهذا .
- الأصوات : إلى دربندخان !
- (تخرج أم الغصن غاضبة تلعن وتسب) .
- الأصوات : إلى دربندخان !
- عبد القوى : (يومئ له الحاكم في غضب فيصيح بهم) كفى يا قوم ! ويلكم احترموا المجلس !
- جحا : (يعود جحا إلى مكانه في المنصة ويسود السكون)
- جحا : إن من أزواجكم وأولادكم عبدوا لكم .. صدق الله العظيم .. معذرة يا قوم إن شغلتكم أم الغصن بترهاتها ساعة من زمان ... احمدا ربكم وارحموا من بُلى بها طول عمره !
- (ضحك في صفوف الحاضرين)
- جحا : على الآن بالخصمين !
- كاتب الديوان : تقدم يا حماد ! تقدم يا غانم !
- (يتقدم حماد وغانم ويقفان أمام المنصة من جديد)
- (تسمع أصوات الجماهير من بعد تردد هذا الهتاف) :

ياربَّ المسبار . . . انزع مسمارك !
من دار الأحرار إذ ليست دارك !
(تبدو الحماسة في وجوه الحاضرين ويتململ الحاكم
في مجلسه ولكنه يظهر التجلد ويشير بيده
لعبد القوى)

عبد القوى : (يصرخ لأحد الشرطة في غضب) مر الجنود
بتفريق هؤلاء الرعاع وليضربوهم إذا أبوا !
(ينطلق الشرطي خارجا)

الحاكم : هذا كله من عملك يا قاضى القضاة !
جحا : ما تقول يا سيدى ؟ من عملى أنا ؟
الحاكم : نعم ... أنت سوفت الفصل فى هذه القضية ، وقضيت
فيها وقتا طويلا .

جحا : يا سيدى أين هذا الوقت الطويل ؟ ما سلخنا فى نظر
هذه القضية غير سبعين يوما ، وإن من القضايا
ما انقضت عليها سبعون عاما ولم يفصل فيها بعد !
(يستمر تردد الهاتف فى الخارج إلا أنه يتعد شيئا
فشيئا حتى ينقطع) .

الحاكم : (يتجلد متجاهلا إشارة جحا) إن لم تفصل فيها اليوم
فإنى سأحملك تبعة هذه الفتنة !
جحا : يا سيدى إن القاضى غير مسئول أمام أحد إلا أما ،
ربه !

- الحاكم : (كاظمًا غيظه) صدقت يا قاضى القضاة فامض، إذن
فى عملك .
- جحا : (لحماد وغانم) ألا تصطلحان أيها الخصمان
العنيدان ؟ افعلنا ذلك من أجل مصلحة البلاد ، فقد
أوشكت قضيتكما هذه أن تفضى بها إلى فتنة تعم
أدناها وأقصاها .
- غانم : فى سبيل البلاد يا سيدى القاضى سأصالح خصمى على
ما يريد . فليقل كم يطلب من المال ثمنًا لمسماره ؟ .
- جحا : (لحماد) ها هو ذا خصمك يا حماد قد فتح لك باب
الصالح فأياك أن توصده . اقترح كم تطلب .
- حماد : كلا لا أشتري بحقى ثمنًا قليلًا ! .
- غانم : اطلب ما تشاء .
- حماد : كل مال يباع به حق فهو قليل وإن كثر !
- جحا : يا حماد لا تكن سبيلًا للفتنة !
- حماد : مرحبًا بالفتنة إذا صينت بها الحقوق !
- جحا : هذا تمسك منك غير مقبول ولا مستساغ .
- حماد : من لم يتمسك بحقه فقد أضاعه !
- غانم : إذن فأنى أنزل عن الدار كلها له . اشهدوا يا معشر
الحاضرين . إني قد نزلت لخصمى هذا عن الدار كلها
فهى له حلال .

(يتهامس الحاضرون متعجبين)

- جحا : يا هذا أتدرى ما أقدمت عليه ؟
- غانم : نعم .
- جحا : هل أكرهك أحد على ذلك أو هددك ؟
- الحاكم : ما هذا يا قاضى القضاة ؟ لقد نزل الرجل عن حقه لخصمه فما تداخلك بينهما ، وما شأنك أنت ؟
- جحا : يا سيدى على القاضى أن يتبصر فيما بين يديه . إن امرأ عاقلا يأتى مثل هذا العمل لا يمكن أن يكون حرا . وإن قضاء يقر مثل هذا دون التثبت من حقيقته لا يمكن أن يكون عدلا .
- غانم : فدعنى يا سيدى أعلم أولا جلية أمره .. (لغانم) هل أكرهك أحد على فعلك هذا أو هددك ؟
- جحا : كلا لقد فعلته بمحض حريتى واختيارى .
- جحا : ما حملك الآن على هذا التسامح البالغ ولم تكن كذلك منذ قليل ؟
- غانم : دفعنى إلى ذلك حبى للسلام .
- جحا : حقا إن السلام لثمين ولكن أئمن منه العدل والحرية !
- الحاكم : لقد أكد لك أنه فعله بمحض حريته واختياره فماذا ترا بعد ؟ عجبا لك ... ما زلت تدعوها للصلح حتى أمكنك أحدهما منه جعلت تعطله وتقف دونه !

جحا : أى صلح هذا ؟ أينزل رب الدار لرب المسمار ؟ أليس
صاحب المسمار أحق أن ينزل لصاحب الدار عن
مسماره أو ينزعه منها ويفرسه فى عقر داره ؟

الحاكم : فهلا أقنعت بذلك ابن أخيك هذا العنيد المتعنت ؟
جحا : الآن يا سيدى قلت الصواب ! (لحماد) اسمع
يا حماد ، إن الحق أحق أن يتبع ، وقد ضرب لك هذا
الرجل مثلا بالغا فى التسامح والحسنى . فمن اللؤم
ألا تقابل إحسانه بإحسان . ماذا عليك لو نزع
مسمارك من داره حتى يستمتع فيها بما للمالك من
حرية وكرامة ؟

حماد : كلا والله لا أنزل عن حقى أبدا .
جحا : لا ينبغي أن يظلم صاحب الدار من أجل صاحب
المسمار . المسمار منقول والدار ثابتة . المسمار ينزع
والدار باقية . صاحب الدار يملك الأرض التى تحتها إلى
سابع أرضين ، وصاحب المسمار لا يملك منها ولا
حفنة من طين !..

الحاكم : (يخونه ثباته ووقاره) كفى يا شيخ المفسدين فى
الأرض !!

جحا : (معرضا عنه ومتوجها إلى الحاضرين) ماذا ترون

يا معشر الحاضرين ؟ أليس على حماد أن ينزع
مسماره ؟

الحاضرين : (بصوت واحد) بلى ... انزع مسمارك يا حماد ؟
انزع مسمارك يا حماد !

حماد : (صائحا بأعلى صوته) ويلكم ، ترون المسمار
الصغير ولا ترون المسمار الكبير ! هذا صاحبه
فيكم ... مروه بنزعه أو فانزعه بأيديكم !

الحاكم : (صائح) خذوه وخذوا هذا الشيخ اللعين !
(يقفز حماد جهة الباب وينطلق هاربا والشرطة
يعدون خلفه ويتسلل عبد القوى فيختفي في خلال
الجلبة)

جحا : (ثابتا في مكانه يهتف فيردد الحاضرون هتافه)
يارب المسمار انزع مسمارك !
من داز الأحرار إذ ليست دارك !
الحاكم : (مرتاعا يتلفت يمنة ويسرة) أين كاتبى ؟ أين
عبد القوى .

بعض الشرطة : لا ندرى يا سيدى أين ذهب .
الحاكم : (صائحا) ويلكم ... لا يفوتكم الخائن ؟ اطلبوه في
كل مكان واثبتوني به حيا أو ميتا !
(ينطلق ثلاثة من الشرطة)

(تسمع الأصوات من الخارج تردد الهتاف أيضا كما
يردده الذين داخل الديوان)
(جحا يحيط به الشرطة ويسوقونه وهو يردد
الهتاف)
(ينسحب الحاكم محتما بحرسه ليخرج من الباب
الخلفي)

(سار)

المنظر الخامس

سرادب في باطن الأرض لا ينفذ إليه غير بصيص
من ضوء النهار آت من قبل الدرج الصخرى النازل
إليه من فوق والواقع في الجانب الأيمن من المسرح .
يرى جمحا عند رفع الستار جالسا على الأرض
فوق فراش بال هو الفراش الذى ينام عليه وقد جلس
إلى جانبه ابنه الغصن وهو يحتضنه ويضمه إلى صدره
في شوق وحنان والغصن يقبل خد أبيه مرة بعد مرة .

: الحمد لله يا بنى إذ رأيتك ... ما أشد شوقى إليك !
: وأنا يا أبى كل ليلة أحلم بك . وقد رأيتك البارحة نازلا
من السماء ، وعلى رأسك عمامة حمراء ، فلما وصلت
إلى الأرض انطلقت فى شوق إليك لأحتضنك ، فإذا
أنت قد انقلبت ديكا كبيرًا ، فانتفضت خوفا وأردتُ
أن أهرب ، ولكنك ضممتنى بين جناحيك الكبيرين
وقلت لى : لا تخف يا غصن فأبى ديكك عرجون قد
هبطت من الجنة لأراك !

: ثم ماذا ؟

جمحا

الغصن

جمحا

الغصن : انتبهت على صوت أمي تقول لي قم يا غصن لتذهب إلى
قصر الحاكم مع هذا الشرطي ، فقد سمحوا لك بزيارة
أبيك .

جحاح : قد تحققت رؤياك يا بني فهذا أنذا أضملك بين ذراعي ..
(يضمه بشده) .

الغصن : ماذا يصنعون بك يا أبي هنا ؟

جحاح : لا شيء يا غصن ...

الغصن : أحقا أنهم يضربونك بالسياط ؟

جحاح : كلا يا بني ... من قال لك ذلك ؟

الغصن : أمي .

جحاح : لا تصدقها ... هأنذا قد رأيتني بعينيك .

الغصن : وتنام هنا وحدك ؟

جحاح : نعم .

الغصن : ألا تخشى من هذا الظلام ؟

جحاح : لا يا بني .. إنهم بالليل يوقدون لي قنديلا ... خبرني

يا غصن كيف أختك ميمونة ؟

الغصن : تبكي كل يوم ..

جحاح : ماذا يبكيها ؟

الغصن : أمي تريد أن تزوجها لرجل في قصر السلطان وهي

لا تريد ، وكل يوم تحتصمان وتتشاجران .

- جحا : لرجل فى قصر السلطان ؟
- الفصن : نعم .. رجل كريم جدا يا أبى ، بيعث إلينا كل يوم بالهدايا مع غلامه الأسود الخفيف الذى اسمه يا قوت ؟
- جحا : (متعجبا) وما اسم هذا الرجل ؟
- الفصن : سمعتهم يقولون إن اسمه عبد القوى .
- جحا : عبد القوى !
- الفصن : نعم . أتعرفه يا أبى ؟
- جحا : (يطرق قليلا ثم يتطلق وجهه سرورا) نعم يا بنى إنه رجل عظيم .
- الفصن : الحق مع أمى .. ميمونة مجنونة إذ تكرهه وترفضه .
- جحا : (يطرق مرة أخرى ثم يرفع رأسه) وحماد ابن عمك .
- يا غصن ، ألم يأت إلى البيت قط ؟
- الفصن : (فى رثاء بالغ) مسكين حماد ! ألم تعلم ما جرى له ؟
- جحا : (فى شيء من الذعر خشية أن يكونوا قبضوا عليه) ماذا جرى له ؟
- الفصن : انقلب امرأة !
- جحا : كيف ؟
- الفصن : دخل الحمام فمسخته الشياطين امرأة .
- جحا : (يتنفس الصعداء) أين رأيته ؟ هل جاءكم فى البيت ؟
- الفصن : نعم جاءنا يوما ساعة الظهر فجلس قليلا مع ميمونة ،

وكانت أمى نائمة فأيقظتها ، فلما رآته بتلك الحال خافت
منه فاستدعت بعض الجنود ليطردوه من الدار ، فهرب
حماد وبكت ميمونة شفقة عليه .

جحاح : ولم يعد بعد ذلك ؟

الغصن : لا .. لم يعد بعد ذلك . مسكين حماد ! يا ليتك كنت معنا
لتقرأ عليه بعض السور وتشفيه من سحره .

(تسمع حركة في الدرج ثم يظهر أحد الجنود نازلا وفي
يده مفتاح كبير حتى يدنو من جحاح) .

جحاح : ماذا وراءك يا عون ؟

عون : قد آن لاهنك يا سيدى أن ينصرف .

جحاح : ألا تتركه بعد قليلا معى ؟

عون : كلا يا سيدى لا أستطيع .. إن الحاكم ينوى أن ينزل إليك
اليوم ، فإذا وجد ابنتك لا يزال عندك حتى الساعة
فسيغضب منى وليس ذلك فى مصلحتك .

جحاح : صدقت يا عون . (ينهض واقفا فينهض الغصن معه)

ارجع يا بنى الآن إلى البيت . غدا سأعود إليكم إن شاء
الله (يومئ لعون ليؤيد قوله) .

عون : أجل يا غصن .. غدا سنطلق سراح أبيك فيعود إليكم ..
هيا تعال اصعد معى .

جحاح : (يعانق ابنه مودعا) امض يا بنى فى أمان الله . قل لأهلك

إنهم لا يضربوننى بالسياط وإنى بخير !
(يصعد القصن وهو يتلفت إلى أبيه ومن خلفه عون
حتى يختفيا) .

جحا : (متمتا) عبد القوى يتزوج ميمونة .. هذا عجيب . إنه
متزوج وله أولاد .

(بيتسم) لك الله يا حماد ، كيف تنكرت فى زى امرأة !
(ثم يعلو وجهه السخط) أرادت امرأة السوء أن تسلمه
للشرطة ... قاتلها الله من خائنة !
(يعود عون) .

جحا : انصرف ابنى يا عون ؟
عون : نعم (يلتقط القيد من جانب الفراش) ينبغى أن تلبس
قيدك يا سيدى قبل أن ينزل إليك الطاغية ومعه جلادان
جديدان حضرا من الكوفة .

جحا : من الكوفة ! .
عون : نعم كانا فى الشرطة هناك .
جحا : (يصمت هنيهة بينما عون يلبسه القيد) خبرنى يا عون
كيف حال العاصمة اليوم !

عون : بحالها يا سيدى ، كالجمر يخفيه الرماد ، ويعلم الله وحده
متى تهب الريح فإذا هى نار تنقد !

جحا : ومنطقة الثغر !

عون : لم أسمع عنها شيئا جديدا غير أن جنود العدو قد نهكها
الحصار فجعلت تبيع أسلحتها للشوار لتحصل منهم على
ما تأكله .

جحا : بارك الله في المجاهدين الأبرار .

(يسمع قرع على الباب من فوق)

عون : لعل الحاكم جاء ليراك !

(يصعد الدرج مسرعا ، ثم ينزل شرطيان آخران
يحملان كرسيًا كبيرًا فيضعانه على الأرض قريبا من
الحائط ثم يقفان على جانبي الدرج) انزلا .. لا تغلقا
الباب .. أتركاه مفتوحا ... لا خوف .. نحن هنا ثلاثة
نحرسه !

(يدنو من جحا فيقول بصوت خافت) الجلادان
الجديدان (ثم يقف بجانب زميله الواقفين)
(يظهر حريق وعباد نازلين حتى يقبلا على جحا الجالس
على الأرض) .

جحا : أعوذ بالله من كل شيطان رجيم !

عباد : (متشفيا) هانتذا قد وقعت يا شيخ السوء !

جحا : (يتطلع إليهما كأنه لا يعرفهما) ...؟

حريق : ألا تعرفنا يا الكع ؟

جحا : اسمي جحا يا ابن الفاعلة ، فمن تكوتان ؟

- حريق : قبحك الله .. ألسنت تعرفنا منذ كنت في الكوفة عند واليها
فيروز ؟
- عباد : يوم حضرنا مجلس وعظك قدام الجامع فكان آخر وعظ
لك ؟
- حريق : يوم كشف الشيخ أبو صفوان جهلك ، وفضحك
أبو سحتوت أمام الناس !
- جحاح : إى والله ... تذكرت خلقتكما الآن .. لكن ماذا كان
يدعوكم الناس إذ ذاك ، فقد نسيت ؟
- عباد : سأذكرك ما نسيت يا شيخ السوء .. اسمى عباد .
- جحاح : عباد الطاغوت ؟ تذكرت الآن (يلتفت إلى حريق)
وأنت ... ما اسم الذى يحمل ذقتك هذا الأجرد ؟
- حريق : لعنة الله عليك ! اسمى حريق !
- جحاح : أجل صدقت أملك إذ سميتك !
- حريق : (يتحرق غيظا) آه لولا أننا نهينا عن التعرض لك اليوم
لنتفنا لحيتك شعرة شعرة !
- جحاح : ويلك يا أجرد ، إن كنت تشتهى لحية لنفسك فاختر لحية
صاحبك هذا فإنها ما زالت سوداء كصحيفة أعماله ..
انتفها وأنا ألصقها بذقتك !! (ينفجر الشرطة الثلاثة
صاحكين بعد ما ظلوا طويلا يغالون الضحك) .
- عباد : غدا نريك عذاب الويل يا رأس الفساد !

جحا : قديمة ! هذه نكتة قديمة جدا قد سمعناها جميعا من والى الكوفة منذ خمس سنين . هات غيرها يا يا ذيل الحمار .

عباد : (مغضبا بهم بالانقضا ض عليه ثم يتراجع) ...؟
جحا : معذرة فقد سهوت . أردت أن أقول البردعة فقلت الذيل .

ليس للحمار سوى ذيل واحد وأنما اثنان .
الجلادان : أيها الشيخ اللعين ؛ (يهمان بالانقضا ض عليه ثم يتراجعا
أيضا) .

عباد : ما أجراك وأوقحك ! أنت هنا في قصر الحاكم ببغداد لا على مصطبة الجامع في الكوفة !

جحا : ويل لى ! كيف غاب عن بالى أنكما قد ترقيتما اليوم فأصبحتما بردعتى حصان !
الجلادان : اخرس !

جحا : رويدا كما . لا يغضبنيكما سهوى فما أهون الفرق بين الحصان والحمار ، كلاهما ظهر يركب !

عباد : (للجنود الثلاثة) اشهدوا على ما يقول هذا اللعين فى . حق مولانا الحاكم .

جحا : الحاكم ؟ أو قد فهمتما هذا الفهم البعيد ؟!
عباد : إن لم تكن قصدت هذا ، فمن يكون الحصان ومن يكون

الحمار ؟

جحا : تسألنى ؟ أنتما أعلم بظهريكما منى !
حريق : لا تحاول أن تنكر ما عنيت . والى الكوفة هو الحمار
ومولانا الحاكم هو الحصان .

عباد : نعم . هذا واضح كالشمس !
جحا : ويلكما ما أجرأكما ! أمام هؤلاء الجنود تقولان هذا !
اشهدوا عليهما عند الحاكم !

عون : (بصوت خافض) صه ! هذا سيدى الحاكم .
جحا : دعوه يسمع !

(يتعد الجلادان عن جحا إلى حيث يقف الجنود الثلاثة
ويسود الصمت) .

الحاكم : (ينزل الدرج فى تؤدة حتى يقبل على جحا ببشاشة
ولطف) صباح الخير يا قاضى القضاة !

جحا : (يشير إلى القيد فى يديه) أنا يا سيدى اليوم شيخ
المفسدين فى الأرض !

الحاكم : أطلقوا عنه القيد .

(يتقدم عون فيفك عن جحا القيد)

الحاكم : إنى جئت لزيارتك يا قاضى القضاة وما جئت لتعنيفك .

جحا : (ينهض) مرحبا بك يا سيدى .. لقد زدت هذا

السرداب نورا على نور !
(مسمار جحا)

- الحاكم : (يجلس على الكرسي الذى أعد له) أرجو ألا تبقى فيه اليوم إذا رجعت إلى صوابك وحكمتك . اجلس !
- جحاح : (يجلس) قاتل الله حكمتى وصوابى .. هما اللذان أسكنانى هذا السرداب !
- الحاكم : (يعرض عن كلمة جحاح الأخيرة ويلتفت إلى عباد وحريق الواقفين) هل تعرف هذين ؟
- جحاح : لا أعرف هذين يا سيدى بل أعرف هاتين ! (مشيراً إليهما) .
- الحاكم : ماذا تعنى ؟
- جحاح : العرب تقول البردعة مؤنثة ولا تقول البردع ؟
- عباد : (متشجعاً) لو سمعت يا سيدى ما قال هذا الشيخ آنفا ...
- جحاح : (مبادراً) ... لعجبت يا سيدى من جرأتيهما فى أول الأمر ومن ارتعادهما فرقا لما خوفتهما منك !
- عباد : كلا يا سيدى بل هو الذى قال ,
- جحاح : أجل يا سيدى أنا دعوتهما بردعتين فأحبا أن يعليا من قدرهما فنسبا أنفسهما إليك !!
- عباد : كلا يا سيدى لقد كذب علينا وافترى .. هو الذى
- جحاح : هؤلاء الثلاثة يشهدون فسلمهم ؟
- الحاكم : (ينظر إلى الجلادين مغضباً) ما تعرضكما له ؟ إنكما

لا تقدران عليه .

جحا : إذا شئت يا سيدى أن ترضينى فاعف عنهما ، فإن لهما
عندى حرمة المعرفة القديمة منذ كنت أركب الحمير فى
الكوفة !

الحاكم : كم يعز على ذكاؤك هذا يا جحا أن تصرفه فيما يضرك
لا فيما ينفعك ؟

جحا : يا سيدى لا تضيع نصحك سدى .. لقد بلوت تصاريـف
الأيام سبعين عاما فوجدت أنى ما أحببت شيئا إلا ضررنى
وما كرهت شيئا إلا نفعنى ... حكمة لله بالغة !

الحاكم : (فى اهتمام) كيف ذلك ؟ أفصح ؟
جحا : أحببت الوعظ فجاءنى منه العزل . وكرهت العزل فأأتانى
منه الفرج إذ عرفت بعده حقيقة نفسى . وأحببت
الفلاحة فجاءنى الجراد .. وكرهت الجراد فكان سببا
لتوليتى قاضى القضاة .. وأحببت هذا المنصب فأفسد
على امرأتى حتى جعلها لا تطاق ! هل أزيدك ؟

الحاكم : (فى انتباه وإصغاء) نعم .

جحا : وكرهت حال امرأتى هذه فدفعنى ذلك إلى خير مسعى
قمت به فى حياتى : مسعى لنزع المسمار من الدار ! ثم
كرهت حبسى هذا فإذا الشعب كله يلهج بذكرى ويهتـم
بأمرى ويسعى جاهدا لخلاصى من السجن الصغير

وخلصه هو من السجن الكبير .

الحاكم : (يطرق قليلاً ثم يقول فى تهديد مستر) الموت يا قاضى
القضاة ألا تكرهه ؟

جحا : بلى يا سيدى أكرهه كرهاً شديداً وهذا ما يجعلنى أرجو أن
يقترن أجلى بأجل احتلالكم ، فقد ولدت أنا وهو فى بطن
عام واحد !

الحاكم : (يعرب عن تهديده) تذكر يا جحا أن حياتك تحت
رحمتنا !

جحا : وتذكر يا سيدى أن حياة احتلالكم تحت رحمة الشعب !
الحاكم : ويلك يا جحا . جئت لأدعوك لما فيه خيرك ، فأبيت
إلا أن تداورنى بالأعيب ذهنك كأنما جئت لأستمع إلى
نوادرك وملحك .

عباد : هكذا هو يا سيدى دائماً منذ كان ، يظهر الدعابة وينفث
فى خلالها سموم غمزة ولمزه !

جحا : (للحاكم معرضاً عما قاله حماد) إن كنت يا سيدى تريد
الجد حقاً فأبعد من مجلسنا دواعى الفكاهة وبواعث
التسلية والإضحاك .

الحاكم : ماذا تعنى ؟

جحا : أعنى هاتين البردعتين المضحكتين !

الحاكم : (لعباد وحريق) انتظرا أنما على الباب فوق !

(يخرجان خجلين عابسين)

جحا : (يتصنع الجلد) إلى أى شىء تدعونى ؟ ماذا تريد أن أصنع ؟

الحاكم : هذه الثورة نخمدوها كما أشعلتها !

جحا : الله هو الذى أشعلها فهو وحده القادر على إخمادها إن شاء .

الحاكم : دعنى من هذا ، فى وسعك أن تدعو الشعب إلى السكينة ، وتبين له أن مصلحة البلاد تقتضى بقاء جنودنا فيها اليوم لحمايتها من هؤلاء الفوضويين الذين يشتد خطرهم يوماً بعد يوم ، فمتى زال هذا الخطر سحبنا جنودنا من بلادكم فلا يبقى فيها جندى واحد .

جحا : (ضاحكاً) أو تظنهم يصدقون قولى لو فعلت ؟

الحاكم : لا شك أنهم سيستجيبون لدعوتك .

جحا : هيهات يا سيدى ... إن الشعب قد وزن القطّ وعرف الذى أكل اللحم !

الحاكم : ما معنى هذا ؟

جحا : هذا مثل جديد ألفناه أنا وامراتى أم الغصن ، فقد دأبت

زمننا على اختطاف لحم البيت لتأكله هى وحدها أو تطعمه اللائى يزرنها من الخاطبات ، فكانت إذا ما سألتها عن اللحم تهم القط باختطافه ، حتى ضاق صدرى ونفد

صبرى فاشترت ميزانا وخبأته عندى فى الدار . فلما
فقدنا اللحم ذات يوم وكان ثلاثة أرطال واتهمت به القط
كعادتها ، أخرجت الميزان فوزنت القط فطلع وزنه ثلاثة
أرطال ، فقلت لها انظري أيتها الملعونة : إن كان هذا وزن
القط فأين اللحم ؟ وإن كان هذا وزن اللحم فأين القط ؟
فخجلت ولم تجرؤ على خطف اللحم مرة أخرى بعد
ذلك !

الحاكم : (يضحك قليلا ثم ينقطع ويبدو فى وجهه الاستياء)
لكن ماذا تقصد من ضرب هذا المثل ؟

جحا : إن هذه العجوز التى لا تعرف الخجل أبدا ، قد خجلت
ذلك اليوم لما انكشف خداعها ؛ فأعيدكم بالله أن تكونوا
أصفق وجهها من أم الغصن !

الحاكم : (يتجلد كاظما غيظه) لو تدبرت قليلا يا شيخ لعرفت
أن هذا المثل لا يصلح لما نحن فيه . فليس لحم البيت هو
الذى يخشى أن يختطف ، بل البيت كله بمن فيه . وليس
القط هو الذى يخشى منه ، بل حوت هائل يريد أن يتلع
العالم كله !

جحا : ماذا يضير السمكة إذا ابتلعها حوت ، أن يتلع ذلك
الحوت حوت أكبر ؟ سيكون مصيرنا يومئذ مصير العالم
أجمع .

- الحاكم : لكن يجب علينا أن نحول دون ذلك المصير .
- جحا : افعلو من ذا منعكم ؟
- الحاكم : يجب أن نتعاون .
- جحا : التعاون يا سيدى لا يكون بالإكراه ، وإنما بالرضا والقبول .
- الحاكم : ويلكم أما تخافون أن يطغى مذهب هؤلاء فيعصف بكل ما لكم فى الماضى من تراث ، وفى الحاضر من كرامة ، وفى المستقبل من أمل ؟
- جحا : كلا لا خوف علينا من ذلك ما اتبعنا ديننا ، الذى شرع لنا فى الحياة سبيلا وسطا يجمع بين العدل والكرامة ، ويقرن المساواة فى الواجبات والحقوق إلى المباراة فى الأعمال والجهود .
- الحاكم : كيف لم يحل دينكم هذا أن يظهر بينكم دعاة لهذا المذهب وأنصاره ؟
- جحا : دعك من هؤلاء فإنما هو رحمة !
- الحاكم : رحمة ؟
- جحا : نعم ... هم عنوان الألم المبين ، والألم عنوان الداء الدفين ، والداء الدفين أنتم ! انقشعوا عنا ينقشع هؤلاء على الأثر !
- الحاكم : كلا لن نخرج من باب ليدخل أعداؤنا من باب آخر !

جحا : سيكونون يومئذ أعداءنا ، فسترون كيف نقاتلهم بكل سلاح ، ونفدى بلادنا بالمهيج والأرواح !
الحاكم : أنى تستطيعون صد ذلك المغير ، وما عند جنودكم أسلحة كافية !

جحا : سبحان الله !.. تمنعوننا من اتخاذ أسباب القوة ثم تحتجون علينا بالضعف ! أليست بلادنا غنية تستطيع أن تبتاع ما تشاء من الأسلحة ؟ ألسنا راغبين فى تزويد جنودنا بما يجعلهم قادرين على الدفاع عنها أيا كان المغير ؟ فما الذى يحول بيننا وبين ذلك سواكم خشية أن تبطل حجتكم فى بقاء هذا الاحتلال !

الحاكم : سيقضى تزويدكم بالأسلحة زمنا طويلا ، لا نأمن خلاله أن ينقض هذا العدو عليكم إذا أجلينا جنودنا فى الحال !
جحا : الأمر هين لو حسنت منكم النية . لتعجل جنودكم ولترك أسلحتها لجنودنا .

الحاكم : عجا ... أنزل عن أسلحتنا لقوم لا يطيقونها بغضا وموجدة ؟

جحا : لا نريدها منكم صدقة ... خذوا ثمنها من الدين الذى عليكم !

الحاكم : لولا أننا قوم نحرص على حقوق أصدقائنا كحرصنا على حقوقنا ، ما اعترفنا لكم بدين أنفقناه فى الدفاع عن بلادكم

يوم أقبل غزاة الهون يقرعون أبوابها فقاتلناهم دونها وأنتم
نائمون .!

جحا : ما كانت تلك الحرب بيننا وبينهم ، وما جاءوا لقتالنا بل
لقتالكم في كل مكان به تقبعون ، وبين أهله تحتمون !

الحاكم : بل تغمطون الحق وتنكرون الجميل !

جحا : والله ما أنكر الجميل سواكم . لقد كان في إمكاننا يوم

اصفرت منكم الوجوه وجحظت منكم العيون
ولاحقتكم الهزائم ، وأن نشب بكم أو نمنع الميرة عنكم
أو نقطع السبل . إذن لما صبرتم ساعة من نهار . ولكننا أينا
ذلك وأعناكم على النصر رجاء أن تحفظوا لنا هذا الجميل
فتريحونا بعده من ظلكم الثقيل ؟

الحاكم : من فطر على إنكار الجميل لا يعدم المعاذير ليجحد بها

إحسان من أحسن إليه ، بل ليدعى أنه هو المحسن
المتفضل !

جحا : (متضاحكا) حقا إن في الدنيا شوائين كثيرين !

الحاكم : ماذا تعنى ؟

جحا : ذكرتني الآن بذلك الشواء الذي جاءني يوما في الديوان

يقاضى رجلا زعم أنه أكل عنده في دكانه ثم أبى أن يدفع
قيمة ما أكل . فلما استجلبت خبرهما تبين لي أن الرجل لم
يأكل من عنده شيئا . وإنما وقف قريبا من دكانه وأخذ

يأكل كسرة خبز في يده على رائحة الشواء التي تتصاعد
من الدكان .. أفندرى كيف قضيت بينهما ؟

: هيه .

الحاكم

: أخذت درهيم من الرجل فقلت للشواء : اقترب مني
لتأخذ حقك . فلما فعل رننت الدرهمين على ظهر المنصة
وسألته : هل سمع رنينهما ؟ قال : نعم . فرددتهم إلى
صاحبهما وقلت للشواء : انصرف فقد أخذت بحقك .
فصاح متظلما : كيف هذا ؟ قلت : هذا العدل . إن الذي
يبيع رائحة الشواء لا يقبض غير رنين الدراهم !

: (في قلة مبالاة) هذا مثل طريف ، ولكنه ضرب في غير
موضعه .

الحاكم

: قد علمت يا سيدى أننى لا أضرب الأمثال في غير
موضعها . إنه لأشد انطباقا على حالكم معنا منه على
الشواء مع غريمه . فقد وقف ذلك الرجل على باب دكانه
يأكل على رائحة شوائه ، ولا شك أنها كانت شهية يسيل
لها اللعاب ، ثم لم يأخذ الشواء غير رنين الدرهمين . أما أنتم
فقد جئتم بمواقدم وسفافيدكم إلى ديارنا ، فأوقدموها
بالنفط والقمامة حتى عميت عيوننا وزكمت أنوفنا
وتغثت نفوسنا من دخانها الكريه ، ثم تقاضيتمونا على
هذا المكروه ألوفا من الدنانير مؤلفة ، ثم لم تكتفوا بذلك

جحا

حتى ادعيتم لمواقدكم وسفافيدكم حق البقاء في ديارنا إلى
يوم القيامة !

الحاكم : (ينهض ضجرا) إذن فلا فائدة من الحديث معك !

جححا : كان عليك أن تعرف هذا من قبل .

الحاكم : لأسلطن عليك هذين الجلادين فإنهما يتحرقان حقدا

عليك . (يشير لأحد الجنود) على بهما !

(ينطلق الجندي)

جححا : افعل ما تشاء فإنني صابر محتسب لوجه الله والوطن !

الحاكم : لقد أردت بك خيرا ولكن لا حيلة لي فيمن يسعى إلى

حتفه بظلفه .

(يقبل الجلادان : عباد وحريق)

جححا : الحمد لله إذ لم يجعل لي ظلفا ولم يحوجني إلى (يشير إلى

الجلادين) برادع !!

الحاكم : (للجلادين) قد جعلت إليكما أمر هذا الشيخ فعذبا به كما

تشتهيان . (يمدو في وجهيهما السرور والتوحش)

عباد : اليوم نبلغ منك ما نريد !

حريق : طالما اشتهيئا هذا من خمس سنين !

جححا : افرحا أيتها البردعتان قد أمكنكما ربكما هذا مما

منعكما حمار الكوفة !

حريق : اسكت يا وقح ! (يتحرق متلمظا ويتحسس ذقنه بيده)

- جحا : (يبدى الرعب فيستوقف الحاكم الذى كان يريد الخروج) مهلا يا سيدى الحاكم ... على رسلك !
- الحاكم : (يرتد راجعا ويقبل عليه مسرورا) نعم ماذا عندك ؟
- هل عدت إلى صوابك ؟
- جحا : نعم يا سيدى ، أتمس منك معروفا لا يعز عليك !
- الحاكم : احتكم يا قاضى القضاة ... اقترح ما تشاء أنفذ طلبك !
- جحا : أقسم لى على ذلك .
- الحاكم : أقسمتُ بشرفى ...
- جحا : (مقاطعا) كلا يا سيدى .. أقسم بالله الموجود !
- الحاكم : (يخفى امتعاضه) أقسمت بالله لأجيئك إلى كل ما تريد .
- جحا : مر هذا الأجرد ألا يتعرض للحيثى بسوء ! إنه يشتهيها لنفسه ! (يغالب الجنود الثلاثة ضحكهم ، وكذلك يفعل عباد فيرميه حريق بنظرة عاتبة) .
- الحاكم : ويلك يا شيخ السوء ! أنتخشى من هذا ولا تخشى الشياطين أن تبلى جلدك ...؟
- عباد : (وقد كف عن الضحك وأظهر الغضب ليرضى صاحبه العاتب) ولحمك وعظمك !!
- جحا : لست أخشى يا سيدى إلا أن ألقى الله رى كهذا الأجرد

بغير لحية ، وبلا شرف وكرامة !
(يدخل كاتب الحاكم — وهو أجنبي مثله — مسرعا
فيسلم للحاكم رسالة مفضوضة) .

الكاتب : معذرة يا سيدى الحاكم فهذه رسالة مستعجلة .
الحاكم : (يتصفح الرسالة فيريد وجهه وتلحقه روعة ، ولكنه
يتجلد ويجلس على الكرسي ليحفظ توازنه . وينظر فى
الرسالة مرة أخرى ثم يطويها وينهض من مقعده ويقف
قليلا موليا الحاضرين ظهوره ، ثم يستدير نحوهم وقد جمع
شعاع نفسه والتفت إلى الجنود)

اخرجوا أنتم الخمسة وانتظروا عند الباب .

عون : ألا نعيد القيد يا سيدى إلى يديه ؟

الحاكم : كلا ... دعوه .

(يخرج الجنود الخمسة) .

الحاكم : (يقبل على جحا متلطفا يتصنع البشاشة) .

جحا : (يتسم) خيرا يا سيدى الحاكم ؟

الحاكم : (يزداد وجهه طلاقة) أجل يا قاضى القضاة .. كأن

الأقدار شاءت فى آخر الأمر ألا تنقطع عرى الصداقة التى

بيننا .

جحا : بينى وبينك ؟

الحاكم : نعم وبين بلدنا وشعبينا .

جحا : (يقهقهه ضاحكا) علىّ أن أعيش سبعين عاما أخرى لكي أفهم معنى هذه الصداقة !

الحاكم : (يدنو منه فيربت على كتفه ملاطفا) يؤسفني يا قاضي القضاة أنني لا أستطيع أن أجاريك في نكاتك ، ولكن صدقني أننا نوشك أن نتفق على خير ، فقد اقتنع رجال الحكم في بلادى أن علينا ألا نفرط في صداقتكم بأى ثمن !

جحا : هل جلت جنودكم عن الثغر !
الحاكم : (تلحقه روعة ثم يتجلد) قد تقرر جلاؤها في خلال ستة أشهر .

جحا : الله يرحمك يا عرقوب . ولقد تركت للعالم تراثا مجيدا بعدك !

الحاكم : من عرقوب هذا ؟
جحا : رجل خلدت العرب ذكراه ، وضربت بصنيعه الأمثال .
الحاكم : ماذا كان يصنع ؟

جحا : كان يكثر المواعيد وكان يحافظ دائما على .. إخلافتها !
الحاكم : (في عتاب لطيف) يا قاضي القضاة إن الوقت أضيق من أن نضيعه في النكات .

جحا : وقتك يا سيدى ضيق لكثرة أعمالك ومهامك ... أما أنا فوقتى في هذا السرداب أوسع من البحر الذى يفصل بين

بلدى وبلدك !

الحاكم : دع عنك هذا وأصنع إلى .. هذا ليس وعدا من الوعود ، هذا قرار اقتنعنا اليوم بحكمته وصوابه لمصلحتنا — افهم قولى جيدا — لا نزعم أننا اتخذناه لمصلحتكم ، بل لمصلحتنا نحن ... أفلا تريد أن تصدق ؟

جحا : بلى .. كيف لا أصدقك فى هذا ولو أنت أخبرتنى أن جنودكم قد جلوا اليوم لصدقك ؟ إن النذر كلها تقتضى أن تجلوا عن بلادنا فى الحال لا بعد ستة شهور طوال .

الحاكم : (يكتّم امتعاضه) لا ينبغي أن يخفى عليك أن جلاءنا فى الحال متعذر ، وستة أشهر لا تعد زمنا طويلا .

جحا : صدقت يا سيدى .. فهل لك أن تطلق سراحى اليوم لأعود إلى أهلى وعيالى وأنتظر موعد جلائكم مع المنتظرين .

الحاكم : سأطلق سراحك اليوم ، بعد أن تكتب إلى زعماء الثورة ليفكوا حصار منطقة الثغر ويطلقوا الأغذية إليها .

جحا : (يظهر الفرح والدهش) أوقد قطع الشعب الأغذية عن جنودكم فى الثغر ! بشرك الله بالخير يا سيدى . دعنى أقبل رأسك جزاء هذه البشارة !

(يدنو منه ليقبل رأسه والحاكم يتباعد عنه)
ياليت لى عينا ترى سواد الشعب اليوم وقد استطاعوا أن يذوقوا طعم الفاكهة ، بعد ما حرموها

زمننا طويلا إذ كانت جنودكم تنهب معظمها وهم ينظرون
ويتحسرون .

الحاكم : (ممتعضا) ويلك إننا ما كنا ننهبها .. لقد كنا نغلي لها
الثلث .

جحا : ذلك هو البلاء ، تغرون به فئة من طلاب الكسب الحرام
على حساب الجمهرة العظمى من الشعب .

الحاكم : يا شيخ جحا أنت أول من يعرف أننا لسنا المسؤولين عن
بؤس الجمهرة العظمى من شعب هذا البلد . وما أحسبك
قد نسيت أنني أنا الذى أنصفت فلاحيكم يوم ثاروا على
الملاك عقب كارثة الجراد .

جحا : أجل ، لقد خشيتم يومئذ من ثورتهم على ظلم الملاك ، أن
تنقلب ثورة على من كان يحمى أولئك الظلمة !

الحاكم : (بعد صمت قصير) والآن .

جحا : اجلوا وقتما تشاءون فلسنا بمستعجلين !

الحاكم : عجباً لكم .. طالما تمنيتم الجلاء فها نحن أولاء نعرضه اليوم
عليكم فترفضون .

جحا : أتعرضونه علينا عرضاً بعد ما فرضناه عليكم فرضاً ؟ إذا
شاءت جنودكم أن تموت فى أرضنا جوعاً فلتفعل ، فإننا لن
نبخل عليها بالمقابر !

الحاكم : هيهات ! إنها لن تموت وفى أيديها السلاح .

- جحا : إن السلاح يا سيدى لا يؤكل .
- الحاكم : لا يؤكل ولكن يؤكل به !
- جحا : صدقت يا سيدى .. إن الحياة عزيزة على النفس . لا شك أن جنودكم تبيع اليوم سلاحها لتحصل منا على ما تأكله ! ولا بأس بمقايضة فيها مصلحة الجانيين .
- الحاكم : كلا إنما يلجأ إلى ذلك الدليل .
- جحا : والمضطر كذلك ولو كان عزيزا . تلك يا سيدى سنة الحياة .
- الحاكم : (غاضبا) أوه .. لا تضيع وقتى فى هذا اللغو . أجبنى أتكتب أم لا ؟
- جحا : (يمدّها طويلا) لا ..
- الحاكم : إذن فسأحصل من سلطانكم على ما نريد .
- جحا : من فضل الله علينا قد جعل لنا ملكا حبيبا إليه ولاؤنا وإخلاصنا لعرشه ، وحببه إلينا احترامه لكلمة شعبه .
- الحاكم : إن لم يستجب طوعا فكرها .
- جحا : هيئات .. دون ذلك وتزلزل الأرض بكم وتنطبق السماء عليكم . لا تنس جيشنا الصابر حتى اليوم على مضض .
- الحاكم : جيشكم ! جيشكم تحت أمرى .
- جحا : بل تحت أمر قائده الأعلى .
- الحاكم : فى وسعنا أن نأتى بغيره .
- (مسمار جحا)

- جحا : (يشتد غضبا) كذبت ! إنما يملك ذلك من ولاه !
- الحاكم : من ؟
- جحا : الله عز وجل .. مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء وينزل من يشاء .
- الحاكم : (صائحا) على بالجلادين !
- (يصعد الكاتب فينزل الجنود ما عدا عوناً)
- الحاكم : أين خامسكم ؟ أين عون ؟
- الجنود : لا ندرى يا سيدى أين ذهب .
- الحاكم : (كأنما تساوره رية ولكنه يتجلد) عذبوا هذا الشيخ اللعين .. عذبوه ما شئتم .. على ألا تقتلوه .
- جحا : بل دعهم يا سيدى يذبحونى ليرسلوا لحمى إلى جنودكم الجائعة فى الثغر !
- (يخرج الحاكم وكاتبه)
- (يأخذ عباد وحريق فى إيذاء جحا بالضرب)
- جحا : (مظهرا أنه يكاد يغمى عليه) أجهزوا على لأستريح من حياة الذل ! (يفهم الجنديان الآخران قصده فيحولان بين الجلادين وبينه) .
- حريق : ويلكما أتحولان بيننا وبينه ؟
- أحدهما : إنه شيخ كبير قد يموت من ضربة هينة فيكون ذلك وبالاً علينا .

- الثانى : أجل إن الحاكم قد أمرنا بالإبقاء على حياته ، فوالله لعن مات
بين أيدينا ليأمرن بقتلنا جميعا .
- الأول : أنتما جديدان لا تعرفان بطشه وسطوته .
- عباد : أفنكف عن ضربه وتعذيبه ؟
- الأول : كلا بل نضربه هكذا (يضرب بسوطه الأرض بين
قدمى جحا أو فى الجدار الذى فوقه فيصنع الثلاثة
الآخرون مثله) .
- حريق : (تعن له فكرة فيصيح) قفوا قليلا .. قفوا يا قوم !
- الثلاثة : (يكفون عن الضرب) ما خطبك يا حريق ؟
- حريق : اهتديت إلى طريقة تؤلمه بها أشد الألم دون أن نخشى عليه
الهلاك .
- الثلاثة : كيف ؟
- حريق : لحيته هذه ...
- عباد : أجل ! (يتقدم هو وحريق ليفعلا ذلك فيحول
الآخران) .
- الأول : كلا لا تفعلنا .
- حريق : ويلك إنه لن يموت من ذلك .
- جحا : (للأول) لا تنصحهما .. دعهما ينتفا لحيتى لأموت
عليها حسرة فيكون جزاؤهما القتل .
- الثانى : (لحريق وعباد) ويلكما ألم تسمعا أنفا كيف لا يخشى

- السياط ولكن يخشى أن يلقي الله بغير حية ؟
(يدخل عون مسرعا ومعه ثلاثة أسياف فيعطى سيفين
لصاحبيه الجنديين) :
- عون : أبشر يا قاضى القضاة فقد جاء الفرج الأكبر !
جحاح : أفصح يا عون !
عون : القتال الساعة دائر حول القصر .
جحاح : أى قصر ؟
عون : قصر الطاغية الدخيل !
جحاح : شعب العاصمة ثار ؟
عون : بل جيش العاصمة ومن ورائه الشعب !
جحاح : (هاتفا) الله أكبر !
(يهجم عباد وحريق بأن يهربا)
عون : (يجرد سيفه) مكانكما أيها الخائنان .. إن تحرك أحدا
ضربت عنقه ! ألقيا ما فى يديكما !
(يرمى عباد وحريق سوطيهما فيلتقطهما أحد
الجنديين)
عون : (لأحد صاحبيه) قف أنت على الباب فلا تفتح إلا
لأصدقاء الشعب (يصعد أحدهما منطلقا)
عون : (يضرب عبادا وحريقا سوطين) اجلسا فى الأرض
هناك (يجلسان فى أحد أركان السرداب ثم يضربهما

سوطين آخرين) أقعيا كما تقعى الكلاب !

(يطيعان أمره)

جحا : إلى متى نبقى فى هذا المكان ! ألا يحسن بنا أن نخرج ؟

عون : لا تخف يا سيدى فنحن معك .

جحا : أخاف أن أموت قبل أن أرى سماء بلادى وهى حرة !

عون : أنت هنا فى أمان .. وسنبقى نخرسك حتى تؤدبك إلى منقذك أو نموت دونك .

(تسمع حركة من ناحية الباب أعلى ثم يظهر حارس

الباب فى منتصف الدرج)

عون : ما هذا ؟

الحارس : الحاكم وبعض رجاله يناشدوننى أن أفتح لهم الباب .

عون : كلا لا تفتح للمجرمين .. آه لولا مكان الشيخ جحا بيننا

لفتحنا لهم ولقاتلناهم ؟

الحارس : كلا إنهم ما جاءوا القتال .. إن الحاكم أراد أن يحتفى بالشيخ

جحا قبل أن يعلن رجاله التسليم حتى لا يقتل فى الهيعة .

جحا : أدخلوه إذن فإن اللاجئ لا ينبغى أن يرد .

عون : مر من معه أن يفرقوا عنه أولا ، ثم ائذن له ليدخل وحده

(يشير للجندي الآخر) اصعد معه ! (يصعد

الثانى) .

(يظهر الحاكم نازلا فى الدرج وهو رابط الجأش كأن

شيئا لم يكن ، فما يكاد يطأ أرض السرداب حتى وقف
عباد وحريق) .

عباد : أنقذنا يا سيدى الحاكم فإن القوم قاتلونا لا محالة .

حريق : أجل يا سيدى أنقذنا فليس لنا غيرك .

عون : (يضر بهما سوطين) مكانكما . لا حركة ولا كلمة !

(يعودان إلى مكانهما فى الأرض)

الحاكم : (ينظر إليهما كأنه لا يعرفهما ثم يقبل على جحا) أنا هنا

فى أمانك يا قاضى القضاة .

جحا : سلطاننا — أيده الله — هو الذى يملك وحده أن يعطيك

الأمان ولكننى سأشفع لك عنده .

الحاكم : حسبى هذا فإنه لن يرد شفاعتك .

جحا : هل لك أن تعيننى على قبول هذه الشفاعة ؟

الحاكم : اقترح يا قاضى القضاة .

جحا : أصدر أمرك إلى جنودكم بالثغر أن يجلبوا عن بلادنا فى

الحال .

الحاكم : هؤلاء قد استقلوا سفنهم منذ أمس ، فهى راسية بهم فى

عرض البحر تنتظر أمرى بالرحيل .

جحا : (ينظر إليه فى شك وارتباب) ...؟

الحاكم : إن كنت فى شك من قولى فاقرأ هذه الرسالة التى جاءتنى

آنفا وأنا عندك (يناوله الرسالة) .

- جحا : (يتصفح الرسالة مدهوشا) وتساوم تلك المساومة بعد هذا كله ؟
- الحاكم : نعم .. كان على أن أحاول جهدى إنقاذ ما يمكن إنقاذه لبلادى ، وقد علمتنا ميادين الكرة التى نلعبها فى بلادنا ألا ييأس اللاعب من الفوز أبدا ، فقد يدال له من خصمه فى الجولة الأخيرة .
- جحا : لله ما أمتن أخلاقكم لو لم تستعملوها فى ظلم شعوب العالم .
- الحاكم : الشعب الضعيف يا قاضى القضاة هو الذى يغرينا باستعمارهم ، فإن لم نستعمره نحن استعمره غيرنا فتقوى به علينا .
- جحا : هذه حكمة بالغة !
- الحاكم : قد عملتم بها فلستم فى حاجة إليها اليوم .
- جحا : ما فقهنها إلا بعد سبعين عاما .
- الحاكم : الحكمة التى أنضجها طول التجارب كالخمر التى عتقها تقادم السنين .
- جحا : إن عجيبى من حكمتك لا يقل عن عجيبى من رباطة جأشك فى مثل هذا الموقف العصيب .
- الحاكم : لا تعجب يا قاضى القضاة فكارثة أهون من كارثة .
- جحا : ماذا تعنى ؟

الحاكم : أهون علينا أن تجلونا أنتم عن بلادكم من أن يجلينا عنها قوم آخرون !

جحا : أليس خيرا لكم من ذا ومن ذاك أن لو جلوتم عنها بالحسنى ؟

الحاكم : بلى ، كان يكون ذلك خيرا لنا لو عرفنا ما يضممر الغيب ولكنه على كل حال لن يكون خيرا لكم .
جحا : إى والله لقد صدقت !

(يسمع قرع على الباب وجلبة ثم يدخل عبد القوى) .

جحا : (ينهض ليعانقه) عبد القوى !

عبد القوى : (يعانقه) أبا الغصن ! الحمد لله على سلامتك !

جحا : الحمد لله على سلامة الوطن .

عبد القوى : سلطاننا المعظم يقرئك السلام .

جحا : أيده الله وأدام ملكه !

عبد القوى : ويوليك منصب الوزارة .

جحا : الوزارة ؟

عبد القوى : نعم .

جحا : أما هذه فساستعفيه منها !

عبد القوى : فيم يا أبا الغصن ! إنك لها لأهل !

جحا : كلا يا عبد القوى ... لقد بطرت أم الغصن إذ صارت

زوجة قاضى القضاة ، فكيف لو صارت ...

عبد القوى : (يضحك مقاطعا) قل ذلك لمولانا السلطان حين تمثل بين يديه .

جحاح : أجل سأقول ذلك وسأشفع لصاحبى هذا فقد أجرته !
عبد القوى : (يلتفت إلى الحاكم) هذا صاحبى قبل أن يكون صاحبك . هأنذا قد جئت من لدن سلطاننا بكتاب الأمان له ولرجاله حتى يرحلوا مكرمين إلى بلادهم .

الحاكم : شكرا لك يا عبد القوى (يمد يده فيصافحه عبد القوى بحرارة) .

عبد القوى : لتعلم أثنى ما خنتك إذ كنت كاتبك ، ولكننى وفيت لوطنى ومليكى .

الحاكم : إني لأقدرك يا سيدى وأعجب بك .
عبد القوى : (يلتفت إلى الجنود) أوصلوا السيد الحاكم إلى مأمنه ، وابقوا فى حراسته حتى يستغنى عنكم .

الحاكم : (يومئ بالتحية ثم يخرج محاطا بالجنود) .
عون : (يسار عبد القوى كأنه يستشير فى أمر عباد وحريق ، ثم يومئ لهما كأنه يأمرهما بالخروج فيخرجان وراءهما يتلفتان) .

جحاح : أحسنت يا عبد القوى فيما فعلت ، حقا ما أصعب أن يفرح المرء أمام من يحزنون لفرحه !

عبد القوى : فلنفرح الآن أمام من يفرحون لفرحنا .. هذه جموع
الشعب تنتظرك .. هيا بنا يا أبا الغصن !
جحا : (يستوقفه) مهلا عبد القوى .. خبرني أولا قبل أن
أنسى . أحقا خطبت ابنتى ميمونة ؟

عبد القوى : نعم .

جحا : لكن

عبد القوى : سأشرح لك هذا فيما بعد .. هيا بنا الآن إلى جموع
الشعب ! (يتوجهان ناحية الدرج ليصعدا)

(ستار)

المنظر السادس

في منزل جحا — بعد القصر الكبير الذى باعه
حماد — حجرة متوسطة أثاثها ليس بفاخر ولكنه
صالح — شابكان فى صدر المسرح يطلان على
الشارع . للحجرة بابان أحدهما فى أقصى اليمين
ويؤدى إلى الخارج والثانى فى أدنى اليسار ويؤدى إلى
داخل المنزل وتحجبه ستارة مرخاة .

الوقت أول العصر —

(ترى ميمونة — عند رفع الستار — جالسة
ومن خلفها الماشطة تزينا ، وحوها أدوات الزينة من
آنية وحقاق وأمشاط ومكاحل ونحو ذلك . تبدو
ميمونة ضجرة عابسة) .

الماشطة : (تضفر شعرها) ارفعى رأسك قليلا يا بنتى حتى
أتمكن من تضفير شعرك .

ميمونة : أوه ... لقد أوجعت عنقى !

الماشطة : يا عروستى لا ينبغى أن تعبسى هكذا فى يوم عرسك .

ميمونة : ياليتـه كان يوم جنازتى !

الماشطة : لا حق لك . أتكرهين أن تتزوجي رجلا عظيما من
قصر السلطان ؟ أى فتاة لا تمنى هذا الشرف
والفخر ؟ هيا ابتسمى ودعى عنك هذا العبوس
والحزن !

(تدخل أم الغصن)

أم الغصن : من أول الظهر فى شعرها هذا يا أم الخير ؟ متى إذن
تكحلينها ثم متى تلبسينها الحلل والحلى ؟
الماشطة : كان عليكم أن تدعوفى من أول النهار كما يفعل الناس ،
لا عند أذان الظهر !

أم الغصن : ما ذنبى يا أم الخير ؟ لم يخطرنا عبد القوى إلا اليوم بعد
الزوال ، وقد أبى إلا أن نرف إليه عروسه الليلة .
الماشطة : كان عليك أن تصرى على تأجيل الزفاف إلى الغد .
أم الغصن : لو كان صاحبنا هذا من سواد الناس لاستطعنا أن
نرفض طلبه ، ولكنه من رجال القصر .. غال يا أم الخير
والطلب رخيص !

الماشطة : إذن فلا تستعجلينى . ليس لى غير يدين اثنتين !
أم الغصن : لست بمستعجلة ، ولكن هذه حجرة الرجال وأخشى
أن يحضر العروس وصحبه ولم تفرغى من عملك .
الماشطة : ماذا أصنع ! ما عندكم حجرة أخرى يدخلها الضوء .
أمشطها فى حجرة مظلمة ؟

أم الغصن : (تنهده) الله يلعنك يا حماد حيثما كنت ! كان لنا قصر كبير يليق بمقامنا وخدم وحشم ، إلى أن جاء هذا الشقى فلم يزل يكيد لنا حتى أخرجنا من القصر وأدخل عمه السجن !!

ميمونة : كفى لسانك اليوم عن حماد ، فقد أصبح بطلا في الناس إن كنت تجهلين !

الماشطة : أجل .. إن البلاد كلها تترغم بذكره وتشيد ببطولته .
أم الغصن : هذا والله من نكد الدنيا ! صعلوك يخال على الناس فينصبونه بطلا من الأبطال !

ميمونة : إما أن تكفى عنه وإلا تركت لكم الدار . (تحاول أن تقوم فتقعدها الماشطة ملاطفة) .

أم الغصن : ما شاء الله .. وإلى أين يا ترى تذهبين ! إلى مزرعته !
الماشطة : (تحاول التهدة) يا أم غصن لا حق لك .. هذه عروس وهذا يوم عرسها .

أم الغصن : ماذا أصنع ؟ لقد سقتني هذه الشقية عذاب الويل .
اخترنا لها زوجا كريما من قصر السلطان لو قعدت طول عمرها لتجد مثله لشاب شعرها قبل أن تجده . ثم لا تستحي في يوم زيتها وعرسها أن تبس وتجنى وتتأكل وتتشاءب ..

ميمونة : لا أريده .. لا أريد رجلا له زوجة وأولاد !

أم الغصن : (تلين لهجتها قليلا) ويحك وما الضرر ! زوجته الأولى هي التى ينبغى أن تأكلها الغيرة لا أنت ! (للماشطة) فهميها يا أم الخير فهي بعد صغيرة لا تعرف الدنيا ... عرفيها أن الضرة الصغرى هي التى لها الغلبة على الأخرى وهي التى تملك قلب الرجل .

ميمونة : لا أريد أن أملك قلب أحد !

أم الغصن : لماذا ؟ أتردين رزقا ساقه الله إليك ؟ إنه ما خطبك وله زوجة إلا لأنه وجد فيك بغيته التى يريد . ومن يدري ؟ لعله يطلقها أو تموت فتفردى به وحدك !

ميمونة : أعوذ بالله من سوء ما تضميرين للناس ! ما ذنب تلك الزوجة المسكينة ؟

أم الغصن : أوه ! انضجى يا بنت واستوى ؟ إلى متى تظلين هكذا نية ؟ مالك وللناس ؟ أرايت لو كان لك بعل فخطب واحدة أخرى أتظننيها ترفضه رحمة بك وشفقة عليك ؟ يا حمقاء إنما الحياة كفاح ، ولا عليك أن تخطفى اللقمة من فم غيرك إذا كانت مقسومة لك !!

ميمونة : (فى إصرار) كلا لا أريده ... لا أريده ... لا أريده !

أم الغصن : ويلك ! أبعد أن قضى الأمر وانتهى كل شيء ؟ هلا قلت هذا الهراء حين كان لك الخيار بعد ؟

ميمونة : وهل تركت أنت لأحد أن يختار ؟ ألم تنتهزى فرصة
غياب أبى فى الحبس لتفعلى فعلتك من ورائه فتبيعينى
لمن يغلى الثمن ؟

أم الغصن : أليس ذلك خيرا من أن أتصدق بك على صعلوك محتال
ليس عنده

ميمونة : (تمهت واقفة نائرة) اسكتى ! والله لئن نطقت بكلمة
سوء فيه مرة أخرى لأقصن شعرى هذا كله ،
ولأحدثن فى وجهى عاهة ينفر منها الناس !

الماشطة : (تغمز أم الغصن ناصحة بالكف عن ملاحظاتها ثم
تصنع الغضب منها) اسمعى يا أم غصن ، أنا التى
سأذهب وأترككم إن بقيت تشغلينا بهذرك ! أما والله
إنك لعلقة مضنية ! (ثم لميمونة ملاطفة) هلمى
يا بنتى .. حقلك على ، اقعدى بارك الله فيك !
(تأخذ بيدها فتقعدها حيث كانت) .

أم الغصن : (كالنادمة على ما فرط منها) ربنا يهديها !

الماشطة : ربنا يهديك أنت !

أم الغصن : (تقوم) إذا كنتما لا تريدان معاونتى فسأخرج .

الماشطة : خيرا ما تصنعين !

أم الغصن : لكن أسرعى قليلا يا أم الخير قبل أن يحضر العروس ..

إنه سيحضر الساعة من القصر حين يفرغ أبوها من

مقابلة السلطان فيأتیان معا ليعقدا الزواج ...

الماشطة

: نعم نعم سمعت هذا مرارا منك .

أم الغصن

: انظري إلى هذا الأب السفیه كابتته ! يخرج من السجن

فلا يرجع أولا إلى بيته لينظف نفسه ويغير ثيابه ، بل

يطلع .توا إلى قصر مولانا السلطان في خلقانه

ووسخه !

الماشطة

: (في ضجر) ألا تبرحين الآن لأفرغ أنا لشغلي ؟

أم الغصن

: خير الى .. سأذهب لأعد أكواب الشراب .. يا سوء

بختنا ! بعد العز والبجبة أصبحنا وليس عندنا حتى

خادمة ! كل هذا من الحمد لله على كل حال !

(تخرج) .

الماشطة

: (ملاطفة) ارضى بما قسمه الله لك يا بنتى ، فعسى أن

تكرهوا شيئا وهو خير لكم . خذيني أنا مثلاً أمامك :

زوجنى أبى — رحمه الله — لغير من أحبه وأعشقه ،

فبكيت وشكيت ، وعملت مالا يعمل ، ثم

استسلمت ، ومرت الأيام فإذا زوجى من أكمل

الرجال وأبر الأزواج ، وإذا قريى الذى كنت أهواه

مزواج مطلق ، لا يستقر على واحدة ، ولا تنتهى

قضاياه معهن فى المحاكم .

ميمونة

: (قتهل) بس لو أنها صبرت حتى يخرج والدى من

الحبس !

الماشطة : الخير فيما اختار الله يا بنتى ، والزواج قسمة
ونصيب . ابتسمى وابتهجى فالبلاذ كلها اليوم
مبتهجة ، والناس كلهم فى فرح .. حتى ابنى الصغير
أبى أن يتم غداءه فخرج ليشهد الزينات والمواكب عند
قصر السلطان .

ميمونة : (تنهد فى حرقة) ترى أين أنت الآن يا حماد !
الماشطة : أوه .. إنه ابن عمك وهو باق لك على كل حال .
وما أحسبه إلا يفرح لفرحك ويتمنى خورك
وسعادتك .

ميمونة : آه !

الماشطة : (تكمل تضيف شعرها فتواجهها) أرينى الآن !
يا حلاوة ! يا ملك !! (تقرص خدبها مداعبة) حقا
هذا جمال لا يصلح لغير قصور السلاطين !

ميمونة : (عاتبة فى ابتسام) أنت أيضا مع أمى على .
الماشطة : حاش لله يا بنتى ! أنا معك عليها وعلى أبيها وأبى أبيها !
(تضحك ميمونة)

الماشطة : (تشرع فى تزجيج حاجبها) إنها أمك على كل حال
وهى لا تريد لك إلا الخير .. سوف تعرفين ذلك
يا ميمونة يوم تكون لك بنت فى سن الزواج .
(مسارجحا)

(تنهّد) آه ... هكذا الدنيا دواليك : عروس تزف ،

وأُم تلد ، وبنت تبلغ سن الزواج !

(تدخل أُم الغصن وقد لبست زيتنها)

أُم الغصن : هاأذى قد أعددت كل شيء !

الماشطة : (تنظر إليها مبتسمة) وأعددت نفسك أيضا يا أُم

العروس !

أُم الغصن : ماذا أصنع يا أُم الخير ؟ هل أنتظرك حتى تزينيني وأنت

لم تفرغى حتى الآن من تزوين العروس ؟

الماشطة : لم يبق غير قليل .. انظري كيف ترين هذه التسريحة ؟

أُم الغصن : (تدنو من بنتها) الله ! حصنتك بالحى القيوم من

عيون الحاسدين والحاسدات ! (تمسك يدها على شعرها

هى) يا حسرة ! كان لى مثل هذا الشعر إذ كنت صبية

حلوة !!

الماشطة : (فى سخوية خفية) لا بد أنها ورثت هذا الشعر

عنك !

أُم الغصن : نعم ... ممن غيرى (من أيها الأصلع) ! الحمد لله إذ

لم يورث بلاءه هذا لأولاده !

الماشطة : ربما يطلع ابنك مثله إذا كبر !

أُم الغصن : لا بأس بالابن أن يطلع كما يشاء .. حتى لو خرج من

بطن أمه أقرع !! (تضحك الماشطة وميمونة) .

- أم الغصن : انظري إلى شعري اليوم !
الماشطة : أكله الكبر يا أم الغصن .
أم الغصن : كبر ! أى كبر يا أختي . من الشيخ جحا يقرض فيه مثل
الفأر ! (تضحك الماشطة وميمونة) .
الماشطة : (تبل خرقه في إناء ثم تمسح بها عيني ميمونة) اسمعى
يا ميمونة سأشرع في تكحيل عينيك الساعة فلا نريد
الدمع أن يفسده
ميمونة : إنما دمعت عيناى من الضحك .
(يدخل الغصن من الباب الأيمن مهرولا حاسر
الرأس حافى القدمين وقد تشعث شعره وتمزقت
ثيابه) .
أم الغصن : أعوذ بالله ... ما هذا يا ولد !
الغصن : (ي تلف وراءه كالحائف من مطارد له) آه ... آه !
(يترنخ ليسقط) .
أم الغصن : (تأخذ بيده فتقعده) ماذا جرى لك ؟
الغصن : آه .. ليتنى ما خرجت لرؤية والدى وبقيت هنا معكم
في أمان .
الماشطة : (تنظر إليه) اسقيه أولا شربة ماء .
(تنهض أمه فتأتيه بقدر ماء فتسقيه)
الماشطة : انظري يا أم الغصن .. إنه ميت من العطش !

الغصن : (يتهاوى مستلقيا على الأرض) نعم أنا ميت

حقا ... أنا ميت (يبقى كذلك بلا حراك) .

أم الغصن : قم يا ولد يا معتوه ... قد سقيتك الماء فحييت .

الغصن : (كأنه لم يسمع شيئا) ميت ... ميت ... (تأخذه

روعة) ميت ؟ كلا كلا لا أريد أن أموت !

(يهب فزعا فيستوى جالسا يتلفت حوله ثم يرفع

بصره إلى السماء مبتهلا) يارب ! اليوم يوم عرس

أختي ميمونة .. لا يصح ياربي أن أموت وفي الدار

فرح ! وعرجون ! لا يصح أن أموت بعدما حيي

عرجون ! (ينطلق خارجا بكل قوته) .

أم الغصن : عرجون ! لن تنتهى أبدا من عرجون .

العصن : (يعود ومعه دمية ديك يجبرها على الأرض بخيط في

يده) اطمئن يا عرجون .. لن أموت .. ولن تموت

أنت مرة أخرى !

أم الغصن : (بلهجة رقيقة) تعال ادن مني يا غصن .

الغصن : نعم يا أماه (يقعد بجانبها)

أم الغصن : احك لنا ماذا جرى لك ؟ أين حذاؤك أولا

وقلنسوتك ؟

الغصن : ضاعا مني .

أم الغصن : كيف أضعتكما ؟ أما كنت لابسهما ؟

الغصن : كلا .. خلعتهما وحملتهما في يدي على سبيل
الاحتياط .

أم الغصن : على سبيل الاحتياط !
الغصن : نعم ... لما رأيت الزحام الشديد خشيت أن يضيعا
فخلعتهما

أم الغصن : ما شاء الله ... هأنثذا قد أضعتهما يا غبي !
الغصن : لكني أنا ما ضعت .. الحمد لله يا أمي فلو بقيت
لابسهما لكنا ضعنا نحن الثلاثة !

أم الغصن : خييك الله .. ياليتهما بقيا وضعت أنت فنستريح من
وجهك !

الغصن : (عاتبا) هيه ... أين تجددين ولدا مكاني ! ما عدتما
أنت وأبي تقدران أن تصنعا أولادا ... (يضحكن) .

الغصن : (يلتفت إلى أخته) البركة في ميمونة وحماد !

أم الغصن : (تنهره غاضبة وتهم بضربه) حماد من يالكع ؟

الغصن : (يثب مبتعدا عن أمه وهو يحمل الدمية إلى صدره)

حماد ابن عمي .

أم الغصن : اخرس !

الغصن : (يدنو من أخته ميمونة كأنما يلوذ بها) نسيت يا أمي

أنه انقلب امرأة .. البركة في ميمونة وعبد القوى !

ميمونة : (تنهره) اخرس !
(مسمار جحا

- (تدركه الحيرة ثم يلوذ بالماشطة فتهديع روعه)
أم الغصن : (تدركها الرقة عليه فتناجيه بحنان) غصن ! غصن !
غصنصن ! .
الغصن : (يطمئن قليلا) هيه .
أم الغصن : ما أكملت لنا قصتك يا حبيبي .. هل رأيت أباك ؟
الغصن : (يقبل على أمه في اطمئنان) كلا يا أماه .. لم أستطع
أن أراه . كان الزحام شديدا حول قصر الحاكم ، وتحرك
الموكب فسرت أنا معهم ، فبينما أنا ماش في وسط
الناس إذ رأيتهم يشيرون إلى بأصابعهم ويتهايمسون ،
فارتبت في أمرهم ، وداخلني رعب شديد ، ثم سمعتهم
يقولون : هذا ابن الشيخ جحا ! هذا ابن الشيخ جحا .
فأيقنت أنهم يريدون بي شرا ، فحاولت الفرار ،
ولكنهم أحدقوا بي من كل جانب ، ثم شالوني على
أكتافهم وأنا أصبح ، سيبوني ! سيبوني ! فما اكثرثوا
لصياحي ، بل واصلوا سيرهم وهم يصيحون :
« سقط الاحتلال ! سقط الاحتلال ! سقط إلى
الأبد » فقلت لنفسي : والله والله إن هذا الذي اسمه
الاحتلال لسعيد . فحركت يدي ورجلي لأسقط إلى
الأرض كما سقط الاحتلال إلى ... إلى الأبد ، ولكني
لم أقدر ، وكدت أموت من التعب والكرب (يلهث

متمثلاً نفسه حيث كان فوق أكتاف الرجال) آه آه
آه آه (يتضاحك) .

أم الغصن : ثم ماذا ؟

الغصن : ثم ما خلصنى منهم إلا البول .

أم الغصن : ويلك هل بلت عليهم ؟

الغصن : كلا ما بلت عليهم بعد .. قلت لهم أريد أن أبول ، فما

التفتوا لقولى فصحت فيهم ! والله لئن لم تنزلونى لأبولن

على رؤوسكم ! فأنزلونى عند ذاك ، وانتحيت بعيدا

عنهم ، فقعدت أبول وأبول وأبول ، وأولئك الناس

ينتظروننى ، حتى صرنا فى ذيل الموكب فعضضت

عندئذ لسانى وانطلقت أجرى ... أجرى ...

أجرى ، وهم يحرون ورائى ، ولكنى فتهم ، ودخلت

من حارة إلى حارة حتى وصلت هنا إلى البيت (يحيل

بصره فيما حوله كأنه يريد أن يتأكد) نعم .. أنا

الآن فى البيت وهذا هو عرجون ! (يسحب

الدمية ويطوف بها حول الحجرة) .

ميمونة : (ضاحكة) ويلك يا أبلة ... إنما حملوك على الأكتاف

إكراما لك من أجل أبيك .

الغصن : هيه .. أظنننى مغفلا ؟ إنما أرادوا أن يضعونى فى

السجن مكانه ... لقد رأيت ذلك فى عيونهم .

أم الغصن : (تدنو منه) اذهب الآن فاغتسل ثم البس ثيابك الجديدة ... ثياب العيد يا غصن .

(يخرج الغصن وهو يسحب الدمية وراءه)

أم الغصن : (تطل من الشباك فترتد كالمدعورة) يا ويلتا ..

هؤلاء الرجال قد أقبلوا على بغال فارهة ! بغال

القصر ! بغال العز !! لنرفع هذه الأشياء من هنا !

هيا . هيا ! (تنهك النسوة الثلاث في حمل أدوات

الزينة ثم يخرجن بها مسرعات) (تعود أم الغصن

وحدها فتسمع حركة الرجال قادمين فتجبل طرفها

في الحجرة وتلتقط بعض السواقي ثم تخرج مهرولة)

(يظهر حماد أولا وقد ارتدى ثياب الحرس السلطاني

فيقف على الباب كأنه يأذن لهم بالدخول ، فيدخل

عبد القوى وبعض حاشيته ثم القاضيان اللذان كانا

مساعدى جحا فى الديوان ثم جحا) .

جحا : مرحبا بكم جميعا .. اجلسوا يا أصحابى الأعزاء .

(يجلسون ما سوى جحا وحماد)

جحا : بيتنا هذا صغير ولكنه اليوم حر طليق !

عبد القوى : أجل يا قاضى القضاة ، الوطن كله اليوم حر طليق . هيا

ادخل أولا إلى أهلِكَ وعيالك ليروك .

جحا : أجل أنتم على الرحب والسعة (يشير لحماذ أن يتبعه

فيتردد حماد قليلا ثم يخرج خلف عمه) .

القاضي الأول : هذا والله يوم عظيم !

القاضي الثاني : أجل والله لقد سلخت خمسا وخمسين سنة ما أذكر أن

الناس فرحوا يوما بكفرهم اليوم .

الأول : سبحان الله ! من كان يظن أن هؤلاء سيخرجون ؟

عبد القوى : الحمد لله .. هو الذي أخرجهم بحوله وقوته لما صدق

الشعب في الجهاد واتحدت كلمته .

(يدخل حماد فيدير أقداح الشراب على الحاضرين ،

وحين يقف أمام عبد القوى يتبادل وإياه الإشارات

وهما يتسلمان) .

جحاح : (يدخل مستبشرا ومعه الغصن وقد ارتدى ثيابا

جديدة) أهلا بكم وسهلا ، هذا الغصن ابني ... سلم

يا بني على أعماك !

الغصن : (يصافحهم واحدا واحدا وهو يتطلع إلى وجوههم

في شيء من الحذر حتى إذا وصل إلى عبد القوى قال

له في حياء) أنت الذي كنت ترسل إلينا اللوز والجوز

والحلوى ! .

عبد القوى : (ضاحكا) نعم ... هل كانت تعجبك ؟

الغصن : جدا يا بخت ميمونة !!

عبد القوى : (للقاضي الأول) هيا يا سيدى القاضي لننته من عقد

الزواج الساعة حتى ننصرف ..

: فيم العجلة !

جحاح

: يجب أن ندعك تخلو إلى عيالك وتستريح .

عبد القوى

(يجمع حماد الأقداح)

: هيا إذن على بركة الله !

القاضي

(يتقدم عبد القوى وجحا فيجلسان بين يديه ، ويد

أحدهما في يد الآخر) (يومئ جحا لحماذ فيحمل

حماد الأقداح ويعطي بعضها للغصن فيخرجان) .

: (بعد أن ألقى القاضي خطبة النكاح المأثورة)

جحاح

يا عبد القوى زوجت موكلك حماد ابن أخي ، ابتى

البكر ميمونة ، بمهر قدره أربعة أواق من الفضة ، على

ما أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

: قبلت تزويجها لموكل المذکور ، بالمهر المذکور ، على

عبد القوى

الشرط المذکور .

: شهدنا على ذلك والله خير الشاهدين .

القاضي

(تسمع زغرودة النساء من الداخل) .

(يدخل حماد فيصافحهم واحدا واحدا وهم يهتفون

وياركون له) .

: (ينهض) هيا بنا يا قوم ننصرف .

عبد القوى

(ينهض الجميع وقوفا لينصرفوا)

(تسمع حركة على الباب ثم يرن صوت أم الغصن
عاليا) .

أم الغصن : (من خلف الستارة) ويلك يا جحا ما هذا الذى
صنعت ؟

جحا : لا حول ولا قوة إلا بالله .. (يتقدم نحو الباب)
ما خطبك يا أم الغصن ؟

أم الغصن : (بأعلى صوتها) ويلك يا شيخ السوء لمن عقدت على
ميمونة !

جحا : لزوجها يا أم الغصن .

أم الغصن : لزوجها من ؟

جحا : يا هذه لا ترفعى صوتك أمام الجميع ... استحى !

أم الغصن : أستحى ! أستحى ممن ؟ دعهم يسمعوا جميعا .
(يومئ عبد القوى للحاضرين أن انصرفوا
فينصرفون متسللين ويبقى هو مع جحا وحماة) .

جحا : (متوسلا) حنانيك يا أم الغصن

أم الغصن : عقدت لحماة يا شيخ السوء ! أين القاضى الذى
ساعدك على هذه الخدعة المنكرة ، أين هذا الذى اسمه
عبد القوى ؟!

(تفتحم الستارة داخلة)

عبد القوى : نعم يا سيدتى أم الغصن .

- أم الغصن : كيف ارتضيت لنفسك أن تكون مطية لهذا الشيخ وابن أخيه؟!
- عبد القوى : هدى من غضبك يا أم الغصن ... ماذا حدث — لا سمح الله — ؟
- أم الغصن : ماذا حدث ؟ أليس الاتفاق بيننا على أنك أنت الذى ستزوجها ؟ فكيف تركتها لحماة ؟
- عبد القوى : يا سيدتى إن حمادا أجدر بها منى .
- أم الغصن : كلا لا أزوجه لها أبدا .
- عبد القوى : ألسم قبلتمونى لأنى من رجال القصر ؟
- أم الغصن : قبلناك لتزوجها أنت لا لتزوجها لغيرك .
- عبد القوى : فحماد قد أضحى اليوم من رجال القصر .
- أم الغصن : لأنه جاءنا مرتديا هذه الثياب المستعارة ؟ ويلكم أحسبتمونى بلهاء تجوز على حيلكم وألاعبيكم ؟
- الغصن : لكن حماد يصلح اليوم يا أمى لميمونة . قد زال عنه السحر فانقلب مرة أخرى إلى رجل !
- أم الغصن : (تنهره) اسكت أنت يا ولد !
- الغصن : (لحماد) قل لها أنت يا أبله ... قل لها إنك لن تدخل الحمام مرة ثانية !
- أم الغصن : اخرس يا جلنفع ! أقفل فمك ... إياك أن تفتحه بكلمة (يضم الغصن شفثيه بيده اليسرى ويشير

لحماد بيده اليمنى كأنه يحرضه على أن يشرح هذه الحقيقة لأمه ، وحماذ يشير له أن يسكت) .

عبد القوى : أقسم لك بالله يا أم الغصن لقد أنعم عليه مولانا السلطان اليوم فجعله رئيس حرس القصر وأهداه بيتا وأقطعه أرضا .

أم الغصن : ولو ! والله لو جعله ولى عهده ما قبلته لبنتى !
عبد القوى : يا سيدتى والله لولا أن ابنة عمه أحق به من غيرها لزوجته لأختى !

أم الغصن : خذه لأختك واكفنا شره .
عبد القوى : إن كان يريد لها زوجة ثانية فمرحبا به .
جححا : قد كانت الأولى ميمونة وقضى الأمر ؟

أم الغصن : اسكت يا ربيب السجون !
عبد القوى : يا أم الغصن كيف تعيرين زوجك بأشرف ما عانى مجاهد فى سبيل وطنه وأمتة ؟

أم الغصن : قد دخل السجن وكفى ! لو كان فيه خير ما سجنوه !
عبد القوى : يا أم الغصن .. بارك الله لحماذ فى ابتك وبارك لها فيه !
أم الغصن : لا بارك الله له فى أحد !

عبد القوى : يا أم غصن .. غدا تعلمين أننا قد نصحناك وصدقناك . (يتوجه نحو الباب الأيمن لينصرف فيشيعة حماد حتى يخرج) .

- أم الغصن : (تطرح على الأريكة باكية) قد فعلتها يا سليل
جحوان .
- جحا : (متلطفًا) يا أم غصن والله ما علمت بهذا الأمر إلا
اليوم .. هذه مشيئة الله لا راد لمشيئته . أين ميمونة ؟
- أم الغصن : (في ذهولها وبكائها) قد أخذها الصعلوك ابن
الصعلوك .
- جحا : (ينادى) ميمونة ! ميمونة !
- ميمونة : (صوتها) لبيك يا أبى . (تظهر على الباب فرحة
متلهلة)
- جحا : تعالى كلمى زوجك .
- (تقدم ميمونة قليلا فيقبل إليها حماد فيقبل جبينها قبله
الزواج) .
- جحا : أين نساؤك ليزغردن ؟ زغردى يا أم العروس .
- أم الغصن : (صائحة باكية) كلا والله لا أرفع صوتى إلا
بالتوايح !
- جحا : يا هذه إن غرت من هذا البطل وعروسه فدونك البطل
الكبير ، وهو فى شوق إليك بعد هذا الحبس الطويل ،
فهلمى بنا نصنع مثلما يصنعان .
- أم الغصن : اسكت . لا كلام لى معك .
- (يشير جحا للعروسين بالخروج ولابنه الغصن

كذلك فيخرجون)

جحا : (يدنو منها مواسيا ملاطفا) حقك على يا أم الغصن ..
يا قرة العين يا برد الفؤاد . (يحاول ضمها إليه فتدفعه
عنها)

أم الغصن : إليك عنى يا شيخ السوء .
جحا : حمدك اللهم إذ لم تجعل طلاقنا في أيدي نساتنا وإلا لطلقتنى
أم غصن منذ أربعين سنة .

أم الغصن : (تضحك قليلا ثم تكف) اسكت .
جحا : وإذن لظلمت بعدها أعزب طول عمرى . فأى امرأة ترضى
أن تتزوجنى بعد أن تكون أم غصن قد طلقتنى بالثلاث ؟
أم الغصن : (تغالب الضحك) اسكت يا جحا ... اغرب عن
وجهى .

جحا : وهل أنا يا حبيبتى قمر فأغرب ؟ القمر وحده (يشير
إليها) يستطيع أن يشرق على إذا رضى ، ويغرب عنى إذا
سخط !

أم الغصن : (فى دلال) جحا !
جحا : نعم يا روح جحا .. يا حياة جحا . يا ...
أم الغصن : أين هذا المحتال وصاحبه ؟
جحا : أجل ... هذا المحتال الأثيم . (يدنو من الباب فينادى)
حماد ! يا حماد !

حماد : (صوته) لييك يا عمى (يدخل وتدخل ميمونة خلفه ثم الغصن)

جحا : (يتصنع الغضب) تعال يا صعلوك ابن صعلوك ... بس رأس خالتك أم الغصن .

حماد : (باسم) وأبوس قدميها يا عمى . (يدنو منها فيقبل رأسها) .

أم الغصن : (في تأثر) مبارك يا حماد .

حماد : (يقبل يدها في فرح) الحمد لله . الحمد لله .

أم الغصن : مبارك يا ميمونة .

ميمونة : (تندفع إليها فتعانقها) سلمت يا أماه . بارك الله فيك يا أماه . (ينتبذ حماد وميمونة ناحية فيتناجيان)

أم الغصن : (لجحا) لقد غلبتاني أنت وابن أخيك .

جحا : لا تبشسى ... إن غلبناك فنحن اثنان بل ثلاثة وأنت

واحدة . (يأخذ بيدها فيسير بها جهة الباب) دعينا الآن

نغلب هذين الحبيبين المتصايين !

الغصن : (واقفا ينظر تارة إلى أبيه وأمه وأخرى إلى أخته

وزوجها) وأنا يا أبى أين أروح ؟

جحا : العب الآن يا غصن في الشارع .

الغصن : في الشارع تحت ؟

جحا : نعم ... في الشارع تحت .

(يخرج الغصن من الباب الأيمن ثم يخرج جعجا وامرأته ثم
يتلوهما العروسان)
(يخلو المسرح لحظة ثم يدخل الغصن من الباب الأيمن
وهو يجرد دمية الديك فى أناة حتى يخرج من الباب
الأيسر)

(ستار الختام)

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

(١) إخناتون ونفرتيتي	(٢) سلامة القس	(٣) وا إسلاماه
(٤) قصر الهودج	(٥) الفرعون الموعود	(٦) شيلوك الجديد
(٧) عودة الفردوس	(٨) روميو وجولييت	(٩) سر الحاكم بأمر الله
(١٠) ليلة النهر	(١١) السلسلة والغفران	(١٢) الثائر الأحمر
(١٣) الدكتور حازم	(١٤) أبو دلالة	(١٥) مسمار جمحا
(١٦) مسرح السياسة	(١٧) مأساة أوديب	(١٨) سر شهر زاد
(١٩) سيرة شجاع	(٢٠) شعب الله المختار	(٢١) إمبراطورية في المزداد
(٢٢) الدنيا فوضى	(٢٣) اوزوريس	(٢٤) دار ابن لقمان
(٢٥) قطط وفيران	(٢٦) إله إسرائيل	(٢٧) هاروت وماروت
(٢٨) التوراة الضائعة	(٢٩) جلفدان هانم	(٣٠) في ذكرى محمد ﷺ
(٣١) من فوق سبع سموات	(٣٢) الشيماء	(٣٣) إبراهيم باشا

الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » :

(١) على أسوار دمشق	(٢) معركة الجسر	(٣) كسرى وقيصير
(٤) أبطال اليرموك	(٥) تراب من أرض فارس	(٦) رسم
(٧) أبطال القادسية	(٨) مقاليد بيت المقدس	(٩) صلاة في الإيوان
(١٠) مكيدة من هرقل	(١١) عمر ونخالد	(١٢) سر المقوقس
(١٣) عام الرمادة	(١٤) حديث الهرمزان	(١٥) شطا وأرمانوسة
(١٦) الولاة والرعية	(١٧) فتح الفتوح	(١٨) القوى الأمين
(١٩) غروب الشمس		

على أحمد باكثير : (١٩١٠ - ١٩٦٩)

ولد على أحمد باكثير في مدينة « سورا بايا » بإندونيسيا ، من أبوين عربيين من حضر موت . وأرسل وهو دون العاشرة إلى حضر موت حيث نشأ وتلقى ثقافة إسلامية ، ثم غادرها ليتجول في عدن وبلاد الصومال إلى حدود الحبشة ، ثم رحل إلى الحجاز حيث قضى أكثر من عام يتنقل بين مكة والمدينة والطائف . وقد بدأ حياته الأدبية بنظم الشعر ، فنظمه وهو في الثالثة عشرة من عمره ، ونظم قصيدة « ذكرى محمد » وهو في الخامسة والعشرين . وبعد الشعر اتجه إلى كتابة القصة المسرحية .

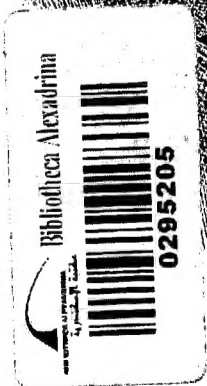
وقدم باكثير إلى مصر سنة ١٩٣٤ ، والتحق بجامعة القاهرة حيث حصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٩ ، ثم حصل على دبلوم التربية للمعلمين سنة ١٩٤٠ .

واشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية من سنة ١٩٤٠ حتى سنة ١٩٥٥ ، ثم نقل بعدها إلى « مصلحة الفنون » وقت إنشائها ، وظل يعمل بوزارة الثقافة والإرشاد القومي .

وحصل على منحة تفرغ لمدة عامين (١٩٦١ - ١٩٦٣) حيث أنجز الملحمة الإسلامية الكبرى عن عمر بن الخطاب ، وهي من أروع ما كتب حتى الآن .
مؤلفاته القصصية : سلامة القس ، وإسلاماه ، ليلة النهر ، الناصر الأحمر ، سيرة شجاع .

مؤلفاته المسرحية : إختاتون ونفرتيتي ، قصر الهودج ، أوزوريس ، الفرعون الموعد ، مسمار جحا ، دار ابن لقمان ، شيلوك الجديد ، قطط وفيران ، عودة الفردوس ، مأساة أوديب ، إله إسرائيل ، سر الحاكم بأمر الله ، سر شهر زاد ، هاروت وماروت ، السلسلة والغفران ، شعب الله المختار ، الدكتور حازم ، إمبراطورية في المزد ، جلفدان هاتم ، أبو دلامة ، الدنيا فوضى ويعتبره النقاد المنصفون من أعظم من كتبوا المسرحية العربية ، إن لم يكن أعظمهم .

رقم الإيداع ٨٥ / ٢٢٤٠
الترقيم الدولي ٤ — ٠١٤٠ — ١١ — ٩٧٧



الثلث ٢٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه